

الصِّيَام ... وتفاسِيرُ الأحكَام

بقلم

عَبْد القُدُّوس الأنصَاري

القسم الأوَّل

الصَّيَام

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمامهم سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

هذه حلقات متتابعة من أحاديث الصيام ، ألقيت بإذاعة نداء الإسلام بمكة المكرمة طيلة شهر رمضان المبارك عام ١٣٩١ هجرية . ولقد بقيت هذه الحلقات كما هي في قمطرها حتى رؤي من الخير أن تظهر في أثر مجموع مطبوع ، لما تشتمل عليه من الفوائد الدينية والتاريخية والاجتماعية والفكرية . وهاهي بين يدي القراء الأفاضل .

نسأل الله عز وجل أن يجعلها رسالة هدى وبركة ، وأن يعم بنفعها الجميع .



المنهج .. بين القلب والعقل

بقلم : الشاعر الرائد محمود عارف

خَطَّ عبد القُدُّوس نَهْجَ السَّلام
نفثاتٍ من نُورِ وَحْي الصيام

فى كِتَاب أهْدَاهُ للناسِ رُشْداً
مُسْتَمَداً من شِرْعَةِ الإسْلَام

كلّ بابٍ وكلّ فَصْلٍ جَنَاهُ
من قُطُوفٍ شَهِيَّة الالْتِهَام

وقُطُوفِ التَّشْرِيع أنماط نَهْج
مِنْ أُصُولٍ ، قَوِيَّة الأَحْكَام

كلّ مَنْ شَقَّ للشَّرِيعَة دَرْباً
تنحذ الدَّرْبَ مَسْلَكاً للأَمَام

ودُرُوبِ الأيمانِ يَسْلكها المسْ
لِمْ تعطى وَشِيجَة الالْتِحَام

إنَّمَا المؤْمِنون إخْوة نَهْجٍ
سَالِم من شَوَائِبِ الأَصْنَام

كلّ نَهْجٍ بِلَا أَسَاسٍ ضَعِيفٍ
يتهَاوَى فى حَالَةِ الارْتِطَام

مُقدمة

إنَّ نَهْجَ الإسْلَام قَلْبٌ وعَقلٌ
وكِلَا اثنَيْهِما مَنَار احْتِكَام

لا يَسُودُ الإسْلَام من غَيْرِ قَلْبٍ
مُسْلِمٍ ، لا يَدِينُ بالأوهام

لا يَسُودُ الإسْلَام من غَيْرِ عَقلٍ
ثابِتٍ لا يمت للأَحلام

كانَ عبد القُدُّوس فِينَا رَشِيداً
حِينَ أهْدَى مِشْكَاتَهُ للأَنَام

وَضَعَ الحقَّ فى مَوازِينَ صِدْقٍ
ربَّ صِدْقٍ مَطِيَّةَ الأَقلَام

كلَّ ماشَعَّ فى الصَّوَى نُور رُشْدٍ
هو نَهْجُ الإسْلَام نَبْعُ الوِئَام

بَلَغَ المسلِمُونَ أوج المعالى
بأُصُولِ التَّشْرِيع لا بالكَلَام

وهو الله أوَّلاً وأخِيراً
عبر خمس . مُضِيئَةٍ بالصِّيام



أهلاً بك يا شهر رمضان

إن بركتك - يا شهر رمضان - بركة شاملة ونامية مستفيضة : تشمل في إطارها النوراني ، الجسوم والأرواح والأفكار .

فيك أنزل القرآن المجيد هدى ورحمة .. ويصومك المسلمون في سائر أنحاء المعمورة .. شهرًا كاملًا ، بين اثني عشر شهرًا التي هي كامل السنة ..

وإذا صاموك ، زكت آراؤهم ، وقويت عزائمهم على فعل الخير ، فسهل عليهم إسداء المعروف ، وإغاثة الملهوف .

في أيامك الحلوة المشرقة ، ولياليك الزاهرة الباسمة ، تتآلف النفوس المتنافرة ، وتبعد عن لوثة الحيوانية ، بعامل صيامك الذي به تتقرب إلى ربها الكريم ، بطاعته ، في صيامك وقيامك .. والصيام طاعة جليلة وجميلة وخالصة بين العبد وربه : (الصيام لي وأنا أجزي به) .

وفيك يا شهر رمضان ، تصفد الشياطين ، فتنطلق أسراب النفوس المتحررة من أسر الشهوات إلى رياض الإصلاح والاستقامة والسمو والإشراق .

وصيامك القويم هو أن يصوم المؤمن بياض نهارك ، متعبدًا بتلاوة الذكر الحكيم ، وبمذاكرة العلم ، وبأداء واجباته الدينية والاجتماعية والإنسانية في إخلاص عميق .

فإذا أقبل ليلك عليه .. أفطر إفطارًا خفيفًا هينًا ، لا يجشم جهازه الهضمي عناءًا ، ولا يثقل جسمه ، ولا يعوقه عن النشاط الحميد في عبادة ، وفي صلاة ، وفي قيام ليل .

وإذا حان وقت سحوره تسحر كذلك سحورًا خفيفًا لطيفًا يقيم أوده ، ولا يكرب معدته طيلة النهار ..

هذا من الناحية الخاصة لصائمك يا شهر الصيام .. أما من الناحية العامة بالنسبة للصائم .. فإن عليه يا شهر الصيام أن يصوم عن الخنا ، وأن يصوم عن المعاصي ، ما ظهر منها وما بطن ، وعليه أن يصوم عن الحقد والبغضاء ، فتكون نفسه سمحة لطيفة شفيفة وتنبض بالشفقة والحنان والمحبة والصفاء والوفاء وسائر الأخلاق الكريمة .

وتقدم علينا يا شهر رمضان ، قدوم الخير والبركات ، في مستهل فصل الشتاء .. والشتاء ربيع المؤمن ، كما ورد في حديث نبوي كريم .. فقد قصر نهاره فصامه براحة وهناء ، وطال ليله فقامه براحة وهناء .. هو في النهار لا يرهقه أثناء صومه حر ولا سموم .. وفي الليل لا يعوقه قيامه له كذلك حر ولا سموم .

وفي صيامك يا شهر الصيام ، بهذا المعنى الإسلامي النبيل ، رياضة روحية وجسمية مزدوجة ذات أثر فعال في رفع مستوى المسلم مادة ومعنى .. وروحًا ومبنى .

فأهلاً بك يا شهر الصيام، من شهر كريم.

إن صيامك يا شهر الصيام، هو ركن رابع من أركان الإسلام التي يبنى عليها صرحه الشامخ العظيم.

والبيت لا ينبنى إلا على عمد ❊ ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

وأوتاد عمادك نظافة الجيب ونظافة القلب معاً..

وأنت يا رمضان بلياليك الغر، وبأيامك الزهر، عماد متين وعال من أعمدة الدين الإسلامى الحنيف.

* * * *

وفق الله مسلمى العالم لصيامك وقيامك، وأعادك إليهم، وأعادهم إليك بالخير والبركات فى عزة قعساء، ومجد أثيل، وسعادة وارفة الظلال.. وأسبغ عليهم نعمة التوائم والتضام والتآزر فى سبيل الله تعالى، قولاً وعملاً، حتى يستعيدوا بأقرب فرصة «حرمنا الثالث».. و«أولى القبلتين» (بيت المقدس) من أيدى الصهاينة، ويستعيدوا معه سائر أجزاء فلسطين، مع كل ما احتله هؤلاء البغاة الأثمة من بلاد العرب والمسلمين.. وحتى يستعيد المسلمون أيضاً جميع ما تبقى بين براثن الاستعمار من بلادهم العزيزة فى شرقه وفى غربه، وفى شمال وجنوب.

عبد القدوس الأنصارى



باقة شعرية

تَبَـدَّيْتَ للنَّفْـسِ لُقْمانَهَا	لـذاكَ تَبُثُّـكَ وِجْـدَانَهَـا
وتَنْثُر بين يَدَيْكَ الـزُّهُـورَ	تُحَيِّيـك إذْ كُنْـتَ رَيْحَانَها
إذا لُحْتَ هَـبَّ نَسِيمُ السماء	فأنْشَر فى النَّفْسِ إيمانهـا
فلاغَـرْوَ إنْ عَظَّمَتْك النفوسُ	وإنْ رَتَّلَـتْ لك أَلْحَانَهـا
ولا غَرْوَ إنْ قابَلَتْكَ بِشَوْقٍ	وإنْ نَظَمـتْ لك تَحْنَانَهـا
فأنْتَ ربيـعُ الحيـاةِ البهيج	تُنْضِرُ بالصَّفْـوِ أوطانهـا
وتُسْعِـدُ بالـذِّكْرِ سُكَّانهـا	وتُنْعِشُ بالْفِـكْرِ قطَّانهـا
وأنْـتَ بَشِيرُ القـلوبِ الذى	يَعْرِفُهَـا « الله » رَحْمانَهَـا
وأنْتَ (الطبيبُ) الحكيم الذى	يُعـالِجُ بالصَّوْمِ أَحْـزَانَها
وأنْتَ (المربِّى) القدير الذى	يُشَذِّب بالْجُـوع طُغْيَانها
أَلَيْسَ الطَّعَام يطغى النُّفُوس	وأنْتَ إذا جِئْتَ مِيزانهـا
وإنَّ الشُّهور (عُيون) الزمان	وكُنْتَ بِوَحْيك (إنسانها)
فأهْلاً وسَهْلاً بشَهر الصِّيـام	يسلّ من النَّفْس أضغانهـا
وأَهْلاً وسَهْلاً بشَهْر الصِّيـام	يُنَـقِّى عن النَّفْس أدْرَانهـا

وأهْلاً وسَهْلاً بشَهْرِ الصِّيــام   يُشَعْشِع فى الرُّوح عِرْفانهــا

* * *

لَكَ اللهُ من ميزةٍ حُــزْتَهــا   وقِدْماً تَقَلَّدْتَ عِقْيــانهــا

أَلَمْ يُنْزِلِ اللهُ فيــكَ القُرْآن   نِظَامَ العِبَــادِ وفُرْقَانَهــا

بِكَ اللهُ يعتــقُ جَمَّ الــرِّقَاب   ويُلْبِسها بِكَ ما زَانهــا

وفيــكَ ببــدرٍ تَسَامى الْهُدَى   وَسِيمَ « الصَّنادِيد » قُلْبَانهــا

* * *

ولا بَأْس يا « طِبّ » أرواحنــا   إذا ما بَثَثْنَاكَ أشْجَــانهــا

بَنُو الغرب قد أَوْغَلُوا فى السُّرَى   ونالُــوا السَّماءَ وأعنانهــا

وإنَّا نَرَى الشَّرْقَ فى نَهْضَــةٍ   ولــكن تَفَرُّقهم شَانهــا

فَوَحِّــدْ بِيُمْنِكَ أَشْتَــاتَهــا   وحَثْحِثْ بِصَــوْتِكَ ركْبانها

وحُطْ بِهِلَالِكَ إقْبالهــــا   وكَلِّلْ بِغَارِكَ تِيجَانهــــا

* * *

وأَمَّا ذَوُوكَ فَنَهْضَتُــــهم   سُرِرْنَا بِأَنْ أَصْلَحَت شَانهــا

ولــكن عِــدَاهــا تَقَاعسهم   وأَذْبَــل ذَلِكَ أَغْصَــانهــا

فأَنْعِش بِبَــدْرِكَ ذَاوِيهــا   وَرُدَّ بِنَسِيمِكَ وُدْيانهــــا

وأَرْشِــدْ بنَجْمِكَ رُوَّادَهــا   وَجَدِّدْ بِشَمْسِكَ ريعــانهــا

عبد القدوس الأنصارى

الفصل الأول

الصيام فى اللغة والدين

- المعنى اللغوى لرمضان
- الصوم فى اللغة وفى دين الإسلام
- كيف ومتى فرض الصيام ؟

oooo



المعنى اللغوى لرمضان

رمضان هو الاسم الإسلامى للشهر التاسع من شهور السنة الهجرية القمرية التى تبتدئ بالمحرم وتنتهى بذى الحجة ...

يقول ابن منظور الأنصارى فى موسوعته (لسان العرب) فى شرح معنى رمضان وفى تحليل أصل التسمية به : الرمض هو حر الحجارة من شدة حر الشمس ، ثم قال : ورمضان من أسماء الشهور معروف . وتدلنا أقوال كثير من العلماء الدينيين واللغويين الأثبات على أن صفة رمضان مشتقة من الرمض المذكور آنفاً ، وعلى أنها ليست من أسماء الله تعالى ، كما ورد فى قول ضعيف ، واستدلوا على هذا بما ورد فى الحديث من تجريد رمضان من إضافة كلمة (شهر) إليه .. فقالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : (لا نعلم نبى الله صلى الله عليه وسلم قرأ بالقرآن كله فى ليلة ، ولا صلى ليلة إلى الصبح ، ولا صام شهراً كاملا غير رمضان) . ومن الدلائل أيضاً ذلك الشاهد من الشعر العربى الذى أورده صاحب لسان العرب وهو قول الشاعر :

جارية فى رمضان الماضى تقطع الحديث بالإيماض

ويجمع رمضان على رمضانات ، وهذا الجمع هو الذى لا يزال يستعمله العوام لدينا حتى اليوم .. كما يجمع على رماضين ، وأرمضاء وأرمضة .

والعلاقة بين اسم رمضان ومعنى الرمض الذى هو حر الحجارة من شدة حر الشمس هى أن الصائم يحتر جوفه من شدة العطش كما تحتر الحجارة من شدة وقع الشمس عليها .. هذا من جهة .. ومن جهة أخرى قال بعض اللغويين أن العلاقة بين الاسم والمسمى به ناشئة فى الأصل عن أنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة العربية القديمة سموها بالأزمنة التى هى فيها ، فوافق رمضان أيام رمض الحر وشدته ، فسمى باسم رمضان من هذا الواقع الملموس حينذاك . وإذا صح هذا التعليل أو التأويل فمعنى ذلك أن نقل أسماء هذه الشهور من اللغة العربية القديمة إلى هذه التسميات قد تم قبل الإسلام بزمن ما ، وذلك لأن شهر رمضان كان أول فرضية صومه فى الإسلام وكان أول صومه فيه فى غير أوان شدة الحر فى هذه البلاد المقدسة كما حققه علماء الفلك وقرروه فى كتبهم .

الصوم فى اللغة وفى دين الإسلام

ربما لاتخلو مثل هذه التعريفات التى تحدد أهداف معانى الأشياء الحيوية فى ديننا من توسعة الثقافة الخاصة والثقافة العامة .

فالصوم لغة هو الإمساك عن الشيء والترك له . وفى المعنى الأساسى للصوم وما اشتق منه من أفعال وأسماء يقول نابغة بنى ذبيان يصف خيلا تتراكض فى إحدى معاركهم القبلية الضارية ..

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

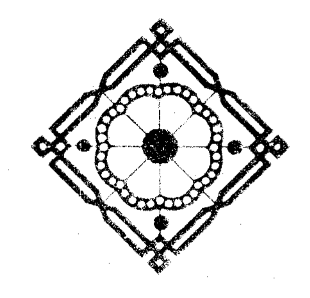
ومن هـذا المعنى الأساسى للصوم اشتق أيضاً معنى الإمساك عن الكلام وسمى لغة (صوماً) قال الله تعالى فى كتابه الحكيم فى المقالة المأمورة بها مريم عليها السلام : (إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليـوم إنسياً) . وقولها : (فلن أكلم اليوم إنسياً) هو تفسير وشرح بيان لقولها قبله : (صوماً) فهى تعنى أنها لن تكلم ذلك اليوم إنسياً أياً كان بأى كلام ..

ومن معنى ترك الشيء والإمساك عنه اشتق معنى (الصوم) الإسلامى الذى نحن فيه اليوم ، ألا وهو ترك الطعام والشراب من الفجر إلى غروب الشمس للبالغ العاقل غير المسافر وغير المريض ، ولغير النفساء والحائض من النساء .

وربما تكون حكمة مشروعية صوم رمضان كله ، وجعل هذا الصوم الركن الرابع من أركان هذا الدين الإسلامى الحنيف ، إن فى الصوم إلجاماً للنفس عن التردى المستمر طيلة شهور السنة فى مهاوى الهوى والعواطف الشهوانية التى يتردى فيها الإنسان دائماً لأنه من جنس الحيوان .. فيرتفع مستواه أو يرفع مستواه عن مكان الانحطاط الحيوانى الغريزى إلى قمم السمو

الروحانى ، فتشرق روحه وتسبح فى عوالم الفتوحات الإلهية العلوية ، ويتشبه أو يشبه بهذا الأمر ملائكة الرحمن ، الذين هم منزهون عن الشهوات الدنيئة ومترفعون عن أسبابها من طعام وشراب وما أشبه ، وذلك طيلة شهر واحد من سائر شهور السنة .. ويتكرر ذلك منه كلما أطل وأهل عليه هذا الشهر المبارك الميمون .

ويدلنا نص الآية الكريمة التى نزلت فيها حتمية صيام المسلم لشهر رمضان وهى قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) تدلنا هذه الآية الكريمة على أمرين ، أحدهما : إن صيامنا ليس بدعة فى أجيال البشرية ، بل هو سنن قديم شرعه الله للأمم التى خلت من قبلنا ، مثل ما شرعه لنا من بعدهم . وثانية الدلالتين إن سبب فرضه علينا يعود إلى توجيه الرب لنا لمصلحتنا نحن فقط إلى أن نحذر اقتراف المعاصى طيلة هذا الشهر ، منسحباً ذلك الحذر أيضاً على ما يتلوه من أشهر إلى أن يعود قدومه إلينا من عام قابل .. وفى ذلك رفع لمستوى نفسياتنا ومعنوياتنا ، وتجنيب لنا عن أسباب الانحطاط والخذلان ، وتبعيد لنا عن الطرق التى تؤدى بسالكها إلى النار يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .



كيف ومتى فرض الصيام ؟

كتب الله على المسلمين أن يصوموا هذا الشهر المبارك بتمامه . من أوله إلى آخره ، فى السنة الثانية للهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المشرفة . وكانت فريضته بنزول هذه الآية الكريمة : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) . ومعنى (كُتبَ) فى فى الآية : (فُـرِضَ) .

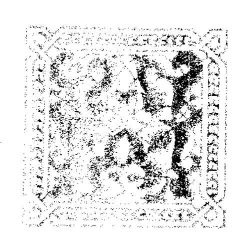
وكانت فرضيته فى يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر شعبان فى السنة الثانية للهجرة .

وقد رووا أن النبى صلوات الله وسلامه عليه بعد نزول فرضية الصيام عليه خرج إلى مسجده الشريف بالمدينة وبشر المسلمين بما نزل عليه من فريضة الصيام ، وبشرهم بمزاياه وفضائله ، ووصفه لهم بأنه شهر خير وبركة فقال لهم فى بيان رائع ساطع : « أتاكم شهر رمضان ، شهر خير وبركة .. يغشاكم الله فينزل فيه الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب الدعاء ، فأروا الله فيكم من أنفسكم خيراً ، فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل » .

وبالمزايا الجليلة ، والفضائل الجزيلة التى استوعبها هذا الشهر ، مما بينه النبى المصطفى فى أحاديثه الشريفة ، ومما نزل به عليه القرآن من رب العالمين ، ارتفعت مكانة شهر رمضان بين شهور السنة فصار سيدها وأفضلها . ومن تلك المزايا الخالدة ما ورد عنه صـلى الله عليه وسلم من أن جميع الكتب السماوية نزلت فيه على الأنبياء والمرسلين .. فقد روى عن ابن عباس أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان ، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الزبور لثمانى عشرة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان » .

ولهذه المزايا المتجمعة فيه خصه الله بالصوم ، ليكون فى ذلك حمد الله وشكره على إحسانه به على المسلمين ، وخاصة نزول القرآن المجيد فيه .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف المسلمين بقدر رمضان ، فكان من خطبه فى الإبانة عن مكانته خطبته فى الناس فى آخر يوم من شعبان حيث يقول : « أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً ، من تقرب فيه بخصلة من الخير ، كان كمن أدى فريضة فيما سواه . وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزداد فيه رزق المؤمنين : من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء ». فقال الناس: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم . فأجابهم الرسول : « يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن » . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .



الفصل الثالث

مزايا الصوم

- سيد الشهور
- من مزايا شهر رمضان
- محبة الله والمحبة فيه
- العمل الصالح
- شهر التزكية والتطهير
- دين الرحمة والمحبة والوئام
- العفة والنزاهة فى رمضان
- المواساة والإحسان فى رمضان
- فضل الصدقة فى رمضان
- الحلم والرفق فى رمضان

oooo

سيد الشهور

● حقاً إن شهر رمضان لهو سيد الشهور، لأنه حافل بالبركات والخيرات والسعادة والهناء والتوفيق .. نهاره صيام، وليله قيام. وبين قيام المؤمن فى نهاره بفريضة صيامه الذى هو أحد أركان الإسلام، وبين قيامه بنافلة قيامه — يحوز المؤمن الصائم القائم كبريات المثوبات، ويحرز البشريات، وينال الأمانى العذاب .. وذلك لتوافق روحه وجسمه فى القيام بما هو فى صالحهما معاً. فالروح تحلق فى سماء المكارم بسبب الصيام. والجسم يحلق فى أجواء الصحة بسبب التقليل من الطعام والشراب وأخذ الوقاية والكفاية منهما معاً .. الوقاية من أوضار المسغبة الفتاكة بالإنسان، والكفاية من الزاد الذى ينأى بصاحبه عن آفات المخمصة الضارة بالإنسان ..

● رمضان شهر العبادة والاعتدال ..

فى شهر رمضان يستأنس المؤمن الصائم القائم بحقوق الصوم .. يستأنس بتلاوة القرآن المجيد آناء الليل وأطراف النهار، فتستوى معنويته وتسرى فرحة الإيمان والاستقامة فى شرايينه، ويتدرج فى معارج التقوى بتدبر لآيات الله جل وعلا حيال مخلوقاته — أثناء تلاوته لآى الذكر الحكيم. وهناك يبصر بعين ذهنه المتفتحة، ويرى بذهن عينه المفتوح. فيسرح أنظاره فى روعة هذا الكتاب الخالد المعجز .. روعته فى مفاهيمه ومراميه، وفى أهدافه وتوجيهاته وإرشاداته .. وروعته فى أسلوبه الذى بهر العالم، وانقطعت دونه أعناق أبلغ البلغاء ...

والمؤمن الصائم فى إخلاص وصدق وحرارة إيمان .. يندفع بقلب متشح بالإخلاص والإيمان. مغمور باليقين والصلاح، صوب امتثال أوامر الإسلام واجتناب نواهيه جملة وتفصيلا فيما بعد رمضان، امتثاله لها فى شهر رمضان ..

فيرزق الاستقامة والصواب فى سائر أيامه ولياليه .. إن الصيام كما ورد فى الحديث النبوى الشريف (جُنَّة) .

● وقد فرض الله صيام شهر رمضان على عباده المؤمنين البالغين الأصحاء المقيمين ، وعلى المؤمنات المماثلات ، ضماناً منه تعالى لتقوية دعائم الإيمان بين جوانحهم ، وتثبيتاً لأهداف الإسلام فى الاستمساك بمحاسن الأخلاق فى الأقوال والأعمال فى هذا الشهر المبارك خاصة .. وفيما يتلوه من شهور عامة حتى دخول شهر الصيام القابل .

إن الصيام إذا قام به المرء حق القيام ، غير مكتف بترك الطعام والشراب وحدهما ، بل إنه يترك إلى جانب ذلك ارتكاب الآثام والغيبة والنميمة وقول الزور وسائر النواهى ما كان منها كبيراً وما كان منها صغيراً . إن الصيام إذا كان على هذا المنوال فإنه يعتبر بحق سيد أنواع الرياضة .. لأنه يجمع بين رياضة الروح ورياضة الجسم معاً ..

● وشهر رمضان بالنسبة لشهور السنة ، هو واسطة عقدها ، ودرتها المفضلة اللامعة ، وجوهرتها الثمينة .. وهو من حيث نسق الشهور يجىء تاسعها فى السنة الهجرية ، ومعنى ذلك أنه يقع فى نهاية ثلثى العام .. ويأتى بعده الثلث الثالث من الأشهر التالية له .. ولحكمة ربانية كان ذلك مكان شهر رمضان فى نسق الشهور ، وإن تنس فلا تنس ، أن الشهر الثانى عشر والختامى للعام الهجرى الذى هو نهاية ثلثه الثالث والذى نستقبله بعد مضى شهرين اثنين فقط على مضىّ رمضان هو شهر ذى الحجة شهر الحج الذى تغفر فيه السيئات ويحظى المحرومون بنفحة القبول والإقبال .

وتبتدىء مدة الصوم فى كل يوم من شهر رمضان قبيل تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، وهكذا حتى دخول الليل بغياب قرص الشمس فى الأفق القريب أو البعيد ..

هى أيام معدودات تقل نسبتها عن العُشر — بضم العين — بالنسبة لأيام السنة .. وللمريض والمسافر فى شهر رمضان مندوحة فى عدم صيامهما . مادامـا على المرض والسفر . بيد أن عليهما أن يصوما الأيام التى فاتهما الصيام

فيما بعد تعويضاً عنها . أما العاجز عن الصوم بالمرة إما لشيخوخة حاطمة معوقة . أو لمرض عضال ملازم ، فتجزؤه عن الصيام فدية طعام مسكين .

● وفى رمضان أُنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وهذه مزية انفرد بها هذا الشهر الميمون دون زملائه من الشهور .

● وبالصيام تنصقل بطولة المسلم الصائم وتزدهر ، وآية ذلك ماثلة فى معركة العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ ﻫ التى دهورت طاقات الصهيونية المغتصبة إلى الحضيض ، وجعلت أبطالهم كالأنعام يفرون أمام أسود الشرى أسود الوغى فى « خط بارليف » وفى غير خط بارليف من الحصون التى شادوها والتى ظنوا أنها مانعتهم من الله .. فخاب ظنهم وفألهم .

وإذا كان هذا فى المعركة الرمضانية التى أعادت للعرب والمسلمين كرامتهم ، فإن لها أسوة كبيرة وخالدة فى غزوة بدر الكبرى التى كان المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، قائدها المعلم ، وكان صحابته الأجلاء جيشه الصنديد إمام صناديد قريش ..

● وفى رمضان تنمو البركات وتعم الخيرات ويسود الإخاء والرخاء .. وتغفر السيئات وتتضاعف الحسنات وتصفد الشياطين ، ويشعر المسلمون أغنياؤهم وفقراؤهم بأنهم أخوة متساندون وأعضاء متعاونون .. مما يشعر العالم حتى يوم الناس هذا بعظمة أثر الإسلام وعمقها فى المجتمعات الإسلامية قاطبة .. ذلك الأثر الباهر الذى تتجلى شموعه الوضاءة فى رمضان شموساً وضاءة ، كما يشعر العالم أيضاً خلال ذلك الأثر الباهر بأن دين الإسلام هو دين الله الحق الجامع لاحتياجات البشر فى كل زمان ومكان .. فقد بقى صافياً متلألئاً طيلة القرون ، ولم تشوهه أصابع التبديل والتحريف كما شوهت غيره من الأديان ، وهكذا بقيت شمس الإسلام ساطعة صافية ، إضاءة شمس السماء فى رائعة النهار ..

من مزايا شهر رمضان في الأحاديث النبوية

الأحاديث الواردة فى مزايا شهر رمضان ونفحاته البرة كثيرة .. ومن تلك الأحاديث النبوية قوله صلوات الله وسلامه عليه : « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن ، وغلّقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادى مناد : ياباغى الخير أقبل ، وياباغى الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة » .

فى هذا الحديث نص بأن رمضان شهر خير ورحمة ، فإن الشياطين ومردة الجن تصفد فيه ، أى تقيد وتسلسل حتى لا يصل شرها إلى الصائمين .

وفيه أن أبواب النار تغلق تكرمة لدخول شهر رمضان .

وفيه أن أبواب الجنة تفتح للمسلمين ، تكريماً لهم فى شهر الصيام الميمون.

وفيه أن منادياً خاصاً ينادى بدعوة الخير والصلاح .

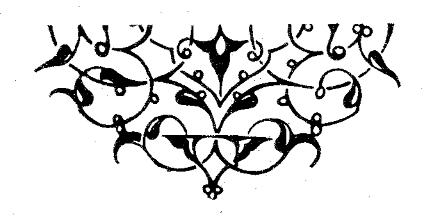
وفيه أن لله عتقاء من النار فى كل ليلة من لياليه الوضيئة .

وفى هذا الحديث من سيد البشر — وهو الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى — فى هذا الحديث إفصاح عن المكانة الجليلة التى يحتلها شهر رمضان . فلو يعلم العباد حقيقة قدره لتمنت أمة الرسول عليه الصلاة والسلام أن تكون السنة كلها رمضان . وهناك حديث رُوِىَ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أى ربّ منعته من الطعام والشراب فشفّعنى فيه .. ويقول القرآن : منعته من النوم بالليل فشفّعنى فيه .. قال : فيُشفّعان » . .

ومقارنة الصيام بالقرآن فى طلب الشفاعة للعبد الصائم والعبد التالى للقرآن تحمل فى ثناياها أهمية بالغة عند الله عز وجل بالنسبة للصيام .. كما هو واضح من سياق الحديث النبوى الشريف ونصه الكريم المنيف .

وفى حديث نبوى آخر يقول صلوات الله وسلامه عليه فى إجابته لصحابى قال له : يانبى الله حدثنا عن رمضان . فقال الرسول : « إن الجنة لتزين لرمضان من رأس الحول إلى الحول – فإذا كان أول رمضان هبت ريح من تحت العرش فصفقت ورق أشجار الجنة ، فتنظر الحور إلى ذلك ، فيقلن : ياربنا اجعل لنا من عبادك هذا الشهر أزواجاً تقر أعيننا بهم ، وتقر أعينهم بنا . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فما من عبد يصوم يوماً من رمضان إلا زوج زوجة من الحور العين ، فى خيمة من درة » ..

وهذا الحديث يعطينا صورة واضحة لما منحه شهر رمضان من المفاخر والمزايا ، فإن الجنة تتزين لقدومه وتتحرك أشجارها وتصطق أوراقها ابتهاجاً بمقدمه . والحور العين فى الجنة تسهمن فى هذه الغبطة الشاملة . وقد بشر الرسول الكريم المسلمين بأن من يصوم منهم يوماً من رمضان يزوج بإحدى الحور العين فى خيمة من درة . صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .



محبة الله والأخوة فيه

هناك أحاديث نبوية كريمة تتفق فى جوهرها وفى أهدافها مع أهداف شهر الصيام ومع الصيام نفسه .. وفى هذه الأحاديث موعظة حسنة ، وهى فى قمة البلاغة وروعة البيان .. فهى درس أدبى نفسى عميق ودرس أدبى بيانى بليغ . جاء فى مسند الإمام أحمد من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نصير عن أبيه عن النواس بن سمعان رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ضرب الله مثلا صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبتى الصراط سوران ، وفى السورين أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى رأس الصراط داع يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط ولا تعرجوا ، وداع يدعو فوق الصراط ، فإذا أراد أحد فتح شىء من تلك الأبواب قال : ويحك لاتفتحه ، فإنك إن فتحته تلجه .. فالصراط الإسلام ، والستور المرخاة حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله ، والداعى على رأس الصراط كتاب الله عز وجل ، والداعى من فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم » .

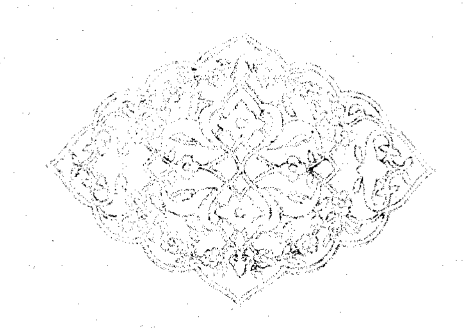
وفى سنن أبى داود عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله » . قالوا : يا رسول الله : تخبرنا من هم ؟ قال : « هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها .. فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، ولا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس » . وقرأ هذه الآية : (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن رجلا زار أخاً له فى قرية أخرى ، فأرصد الله على مدرجته ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً فى هذه القرية.

قال : لك عليه من نعمة ؟ قال : لا ، غير أنى أحبه فى الله تعالى . قال : فإنى رسول الله إليك ، إن الله قد أحبك كما أحببته فيه » .

وقد عقد الإمام ابن قيم الجوزية فصلا فى محبة الله استهله بقوله : فالمحبة شجرة فى القلب عروقها الذل للمحبوب ، وساقها معرفته ، وأغصانها خشيته ، وورقها الحياء فيه ، وثمرتها طاعته ، ومادتها التى تسقيها ذكره ، فمتى خلا الحب عن شىء من ذلك كان ناقصاً ، وقد وصف الله سبحانه نفسه (بأنه يحب عباده المؤمنين ويحبونه) فأخبر أنهم أشد حباً لله . ووصف نفسه بأنه الودود ، وهو الحبيب . قال البخارى : (والود خالص الحب ، فهو يود عبادة المؤمنين ، ويودونه) .

رزقنا الله محبته والمحبة فيه ، لتكون نفوسنا صافية الجوهر ، تقية نقية ، وراحنا سامية البشر والقدر ، ومجتمعنا راقياً سعيداً حميداً ‌.



العمل الصالح

العمل الصالح يقوم به المسلم خالصاً مخلصاً لوجه الله تعالى ، ينقذ الله به صاحبه من الكروب المدلهمة فى هذه الدنيا أيضاً .

والقصة النبوية الصحيحة التى بين يدينا الآن فيها برهان ساطع على صحة هذه النظرية .. وهى قصة الثلاثة النفر الذين لجأوا إلى غار فى جبل من المطر الشديد ، فأطبقت عليهم صخرة من صخوره العظام هبطت على فم الغار الذى لجأوا إليه وسدت عليهم باب الخروج سداً محكماً ، فهم لا يستطيعون زحزحتها بسبب ضخامتها ، فتراجعوا فيما بينهم ، وقر رأيهم آخر الأمر على أن يدعوا الله، كل واحد منهم بما قدمه من عمل صالح ، فما كادوا يكملون عرضهم ودعاءهم لربهم رجاء كشف هذه الغمة عنهم ، حتى انفلقت الصخرة كلها ، وفتح الله لهم بذلك باب الغار ، فخرجوا منه سالمين .

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة وابن عمر رضى الله عنهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بينما ثلاثة يمشون إذ أخذتهم السماء ، فأووا إلى غار فى الجبل ، فانحطت عليهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم ، فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالا صالحة عملتموها فادعوا الله بها . فقال بعضهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لى أبوان شيخان كبيران وامرأة وصبيان ، وكنت أرعى عليهم ، فإذا رحت عليهم حلبت فبدأت بوالدىّ أسقيهما قبل بنىّ ، وأنه نأى بى الشجر فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما ، فحلبت كما كنت أحلب ، فجئت فقمت عند رءوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما ، وأن أبدأ بالصبية قبلهما ، والصبية يتضاغون عند قدمى ، فلم أزل كذلك حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا فرجة نرى منها السماء .. ففرج الله لهم فرجة .

وقال الآخر : اللهم إنه كانت لى ابنة عم فأحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء ، فطلبت إليها نفسها ، فأبت حتى آتيها بمائة دينار ، فسعيت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها ، فلما قعدت بين رجليها قالت : ياعبد الله اتق الله لاتفض

الخاتم إلا بحقه . فقمت عنها وتركت المائة دينـــار . فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا من هذه الصخرة . ففرج الله لهم فرجة .

فقال الآخر : اللهم إنى كنت استأجرت أجيراً بفرق من أرز ، فلما قضى عمله قال : أعطنى حقى فأعطيته . فأبى أن يأخذه ، فزرعته ونميته حتى اشتريت له بقراً ورعاءها ، فجاءنى بعد حين فقال : ياهـذا اتق الله ولا تظلمنى ، وأعطنى حقى ، فقلت له : اذهب إلى تلك البقر ورعائها ، فهو لك . فقال : اتق الله ولا تهزأ بى . فقلت : لا أستهزئ بك فخذ ذلك ، فأخذها ، وذهب . فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما بقى من الصخرة . ففرج الله عنهم ، وخرجوا يمشون » .

والأعمال الثلاثة الصالحة التى قام بها ثلاثة الرجال ابتغاء وجه الله تعالى ، بعضها خلقى نبيل ، وبعضها اجتماعى وخيرى جليـــل .. فعناية الابن بأبويه الشيخين بقيامه عليهما طيلة نومهما بالحليب الذى احتلبه ، وانتظاره يقظتهما العفوية من نومهما ليقـدم لهما ما يرويهما ، وإعراضه فى نفس الوقت عن أبنائه الصغار الذين يتضاغون من الجوع عند قدميه ، هو مثال رائع من الخلق الإنسانى الرفيع ، وقد قام الرجل بهذا الصنيع ابتغاء وجه الله تعالى ، ففرج الله عنهم بعض الفرج استجابة لدعائه وتقديراً لعمله .. وإقلاع الرجل الثانى عن شهوته العارمة بعد ما واتته الفرصة لما عمر قلبه إذ ذاك من تقوى الله ومخافة عقابه هو مثل رائع أيضاً من أمثال الخلق السامى ، وقد قام بهذا العمل وكبح جماح نفسه لما خالط شغافه من تقوى المولى جل وعلا حينئذ . وقيـام ثالثهم بتنمية أجر أجيره اليومى ليوم واحد حتى نتج من ذلك الأجر الجزئى البسيط بقر كثير ورعاؤه ، وإعطاؤه له كل ذلك بعد المعاناة فى تأثيل الأجر هو عمل اجتماعى وخيرى شريف قام به لوجه الله تعالى ، فلم تغره كثرة المال بالاستيلاء عليه حينما تكاثر ، ولم يغره قلة الأجر بإهماله حين كان جد ضئيل . وهكذا المسلم الصائم .

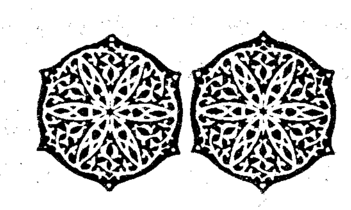
يضرب لنا الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام أروع الشواهد الواقعية فى تاريخ الإنسانية المؤمنة بربها على أهمية تعاطى الأعمال الصالحة الخالصة نتيجة تقوى الله تعالى ، ولوجهه الكريم تعالى ، ففى ذلك ربح كبير لحياة الإنسان . وفيه وقايته من آفات الدنيا والآخرة معاً . فاعمل صالحاً ما استطعت ، واعمل خيراً ما قدرت . (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) .

شهر التزكية والتطهير

تتألف شخصية ابن آدم من شيئين مختلفى العنصر والجوهر .. ألف الله الخالق الحكيم بينهما بقدرته وحكمته .. فسوى منهما هذا الإنسان .. وهذان الشيئان المؤلفان مع بعض واللذان منهما تتكون شخصية ابن آدم معاً .. هما الروح والجسد .. وباختلاف جوهر هذين المزيجين العجيبين المتفاوتين فى العنصر والاتجاه ، تفاوتت مطالبهما واختلفت رغائبهما لامحالة .. فإذا طغت جسدية الإنسان على روح الإنسان هبط من علياء السمو إلى حضيض الحيوان فلم يتورع عن ممارسة أى لون من ألوان الانحطاط الخلقى .. وإذا قوى الجانب الروحى فيه سمت شخصيته وارتفعت عن الأوضار ، وتطهرت نفسه وتزكت. وقد فرض الله علينا الصيام لكى ترتفع به نفوسنا وتتطهر أرواحنا بممارسته مما يكون قد علق بنا وبها من شظايا طينيته الملازمة لها، المرتبطة به على الدوام. وبذلك يبتعد الإنسان عن مهاوى المفاسد وسوء الأخلاق وسوء الأعمال وسوء الأحوال والأقوال والأفعال ، فيسوده السمو والإشراق والسلام والوئام .

والصيام جنة ، والصيام صحة للروح والجسد كليهما .. ولعل سر تكليف الله لنا بالصيام يكمن فى دفع الإنسان إلى رفع مستوى نفسه من طريق الصيام ، فتضمر عرامة الجسد ويخف ثقله من طريق ممارسته للصيام عن الأكل والشرب فى بياض النهار ، فإذا صام المسلم الصيام الإسلامى المشروع بكل معانيه ومطالبه ، وبكل لوازمه وروافده ، فإنه سيجتنب قول الزور ، وسيصوم لسانه وذبذبه وقبقبه عما لا يرضى الله ، وسيكون حينئذ سعيداً باتباع أوامر الدين الحنيف واجتناب نواهيه .. وحينئذ لن يستكثر من الطعام المباح بحال من الأحوال ، سواء فى إفطاره أم فى سحوره . فالطعام الكثير يقوى طينية الجسد ويزيدها كثافة وظلاماً . سيكون طعامه إذن خفيفاً لطيفاً بسيطاً يحسبه منه ما يقيم أوده ، وكذلك يكون شرابه المباح أيضاً بطبيعة الحال ، فالشراب

المباح تبع للطعام .. إن أكثرت من الطعام أكثرت من شرب الماء ، وإن أقللت من الطعام أقللت من الماء .. وستصرف أوقاته حينئذ فى عبادة مشروعة ترضى خالقنا ، فيغفر لنا زلاتنا ويرفع مستوى معنويتنا ، ويهب لنا صحة فى جسدنا ، فيتآلف الجزءان اللذان يكونان كياننا على خير ما يكون التآلف ، ويتآزران على صلاح أمرنا خير التآزر ، فقد حصل لكل منهما ما يسعفه ويسعده من غذائه المناسب . ومحور كل هذا هو الاعتدال ، والعدل بين جزئى الإنسان اللذين يتركب منهما شخص الإنسان . فإذا مَنّ الله علينا بشهر رمضان ، وأردت أن تنال فيه هذه المنزلة العالية ، فعلينا بحفظ اللسان عن الزور والبهتان وما لا يليق ، وعلينا بحفظ جوارحنا عما يشينها ولا يزينها . فالحلال بين والحرام بين . والإثم ماجاء فى الصدر . وقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الصيام القويم السليم : « ليس الصيام من الأكل والشرب وإنما الصيام من اللغو والرفث . فإن ساءك أحد ، أو جهل عليك ، فلتقل : إنى صائم . إنى صائم » . . أو كما قال . .



دعوة الرحمة والمحبة والوئام

لامحالة أن صيامنا لرمضان فى أنهره ، وقيامنا فى لياليه،هما من أهم العوامل لإحكام غرس المادىء الإسلامية العالية بين جوانحنا . هذا إذا كان صيامنا وقيامنا متمشيين على الوتيرة التى تقررها الإسلام ، وإلا فليس لله حاجة فى أن تدع طعامك وشرابك .

وتُخلقا الرحمة والمحبة من لوازم الصائم المخلص فى صيامه .. فنفسه التى طهرها الجوع والظمأ وتلاوة القرآن وذكر الله تعالى ، لامحالة أن تنعكس عليها الرحمة لعباده والمقة لهم على ضوء صفاء نفسه وطهرها .

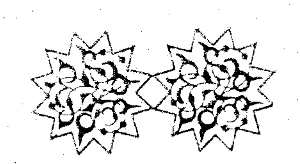
ونجد صفة الرحمة الخاصة والعامة منطبعة بطابع الإسلام والإيمان فى صفحات تاريخ المسلمين ، فى رضاهم وغضبهم ، وفى سلمهم وحربهم .

فى الحروب الصليبية التى كشفت حقيقة النزعات والغرائز التى تسيطر على طرفى المعركة ، سطعت أضواء خلق المحبة والرحمة فى نفوس المسلمين فى أشد الظروف حرجاً وقسوة عليهم .. بعكس ماكان قد تجلى من ضد ذلك تماماً لدى أعدائهم الصليبيين الغزاة الشرسين . وخير شاهد نحمله دليلا على ما قلناه آنفاً يتمثل فى تلك القصة الناطقة بهذا المعنى تماماً ، التى رواها راهب رافق حملة الصليبيين إلى ديار الإسلام ، فرأى ما أذهله من تمسكهم بالرحمة والإحسان والعفو والتلطف بالأعداء الألداء فى ساعات محنتهم المستشرية .. والقصة رواها عنه السير توماس دنيس ، وقال عنه إنه كان قسيساً فى المعبد الخصوصى للملك لويس السابع ، وأنه رافقه فى غزوه لديار الإسلام طائفة كبير ...

يقول الراهب ما ملخصه : إن جيوش الصليبيين التقوا بجيوش المسلمين فى طريقهم إلى بيت المقدس عبر جبال الأناضول ، فهزمهم المسلمون شر

هزيمة ووصلوا إلى أضاليا بشق الأنفس ، وغدر بهم إخوانهم اليونانيون ، واستغلوا هزيمتهم شر استغلال مادى ومعنوى ، واتصلوا بالمسلمين وأخبروهم بما عليه هؤلاء الصليبيين من وهن وتخاذل وعجز . وبموجب ذلك خرج نحو أربعة آلاف من الصليبيين من قلعتهم لينجوا بأنفسهم فحصرهم المسلمون وشدوا عليهم ، وحينما وصل حال الصليبيين إلى اليأس ماكان من المسلمين المنتصرين عليهم إلا أن نزلت الرحمة بهم وفى قلوبهم ، فرقت وذابت نفوسهم رحمة بأعدائهم الصليبيين المساكين ، فواسوا مرضاهم وعالجوا جرحاهم ، وأحسنوا لجائعهم بسخاء وكرم ، وبلغ من إحسانهم لهم أن استردوا بطرق مختلفة النقود التى أخذها اليونان منهم فى ساعات تخاذلهم وأعادوها لأصحابها من الصليبيين ، مما حمل هؤلاء على اعتناق دين الإسلام من غير أن يكرهوا أو يقهروا على ذلك .

وهذه شهادة صريحة من صليبى راهب وشاهد عيان على تحلى المسلمين بالرحمة والإحسان والمحبة ، حتى مع ألد أعدائهم ضراوة وأشدهم عداوة لهم ولدينهم القويم .



العفة والنزاهة فى رمضان

يحض الإسلام – وخاصة فى شهر الصيام – على كل خصال الخير ، وعلى كل محاسن الخلق التى ترفع الإنسان عن دركات الحيوان .

والعفة والنزاهة من سمات الخلق الرضى . وخلقاً العفة والنزاهة ، خلقان متوازيان يكادان يندمجان فى بعض ، مع أن لكل منهما شخصية ومقومات وذاتية مستقلة .. من محاسن الصوم ومن متمماته أن تعف أيها المسلم الصائم عن الولوغ فى أعراض الناس ، ومن مكملات صومك وروافده أن تتنزه عن مراتع الطمع والجشع وأكل أموال الناس بالباطل وبالاحتيال ، وأكل أموال الله بالاحتيال والباطل . ومن العفة والنزاهة أن تقوم بعملك بإخلاص وجد واستقامة ،سواء أكنت موظفاً حكومياً أم موظفاً فى شركة أم لدى صاحب عمل أياكان . ومن العفة والنزاهة أن تؤدى الأمانة إلى أهلها ، صارفاً نظرك بكليته عن اجتناء الكسب المادى المحرم الذى قد يسيل له لعابك . فإن عاقبة المال الحرام الانهيار والفقر والإفلاس كما شاهدناه مراراً وتكراراً . ومن العفة والنزاهة أن يعف صاحب العمل أو المعمل أو المتجر أو المزرع عن الاستغلال غير المشروع فى الدين الإسلامى لمن يعملون معه ، فلا يؤخر لهم أجورهم ، ويقدر مجتهدهم ، ويكافئ محسنهم .

وفى الحديث : « اعط الأجير أجرته قبل أن يجف عرقه » أو كما قال عليه الصلاة والسلام . ومن العفة والنزاهة أن تعف أيها الصائم عن ممارسة كل مالا يليق بالصائم ممارسته من ألعاب تضيع عليك فرص العبادة أثناء ليالى رمضان ، وتحرمك من قضاء الليل فى عمل مفيد لدنياك وآخرتك أو لهما معاً .

الإسلام يجمع بين الدين والدنيا . . فاعمل عملا صالحاً ، فكل منهما متمم للآخر ومعضد ورافد .

من قصص العفة والنزاهة الجديرة بالإشادة والتأمل ماورد فى الحديث النبوى الشريف عن رجلين ثريين .. تقول القصة النبوية : (اشترى رجل من رجل عقاراً ، فوجد الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب ، فقال له الذى اشترى العقار : خــذ ذهبك إنما اشتريت منك الأرض ، ولم أشتر الذهب .. وقال الذى له الأرض : إنما بعتك الأرض وما فيها . فتحاكما إلى رجل ، فقال الذى تحاكما إليه : ألكما ولد ؟ قال أحدهما : لى غلام . وقال الآخر : لى جارية . قال : أنكحا الغلام الجارية ، وأنفقا على أنفسهما منه ، فتصدقا) .

ومغزى هذه القصة الواقعية المثالية التى رواها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه لأصحابه أن يدلهم واقعياً على المزايا الجليلة للعفة والنزاهة .. فالرجلان الثريان : البائع للأرض والمشترى لها ، تتمثل فى كل منهما ذروة العفة والنزاهة ، فلقد أصر كل منهما على الاحتفاظ بعفته ونزاهته إلى آخر الشوط .. وإلى أقصى حد ، ولم يتنازل عن ذرة منها برغم إغراء الذهب الوهاج .

وقد تحاكما إلى رجل ، فاحترم فيهما الخلق الرفيع ، وقضى لهما قضاءاً عدلا موفقاً احتفظ لهما فيه بالخلق النضير الذى يتمتعان به معاً ، وهيأ لهما الانتفاع بجرة الذهب موضع التنازع لا على أخذها بل على إعطائها ، وهكذا تصدقا بها .. فانتفعا بذهبها من طريق غير مباشر . . ولم يغمز الحكم المنتخب فى قناة أحد منهما ، ولم يطلب إليه أن يلين جانبه فيما تصلب فيه من العفة والنزاهة ..

فعلينا إذن بالتمسك بعروة العفة والنزاهة ، فإنها من خير العربى ، ومتى تمسكنا فى أعمالنا وفى أحوالنا وأقوالنا نلنا خيراً كبيراً ونجحاً محققاً إن شاء الله .

المواساة والإحسان فى رمضان

الإحسان والمواساة بابان واسعان من أبواب قبول الصيام عند الخالق جل وعلا .

ولنا أسوة حسنة فى رسول رب العالمين الذى كان أجود من الريح المرسلة فى هذا الشهر المفضل على ماعداه من الشهور .

وقـــد جاء فى حديث بعثته صلى الله عليه سلم ونزول أول الوحى عليه أن أم المؤمنين خديجة الكبرى رضى الله عنها وأرضاها حينما سمعت منه صلى الله عليه وسلم قوله عقب نزوله إليها من جبل حراء ، على أثر تلقيه أول قبس من الوحى الإلهى : (لقد خشيت على نفسى) أجابته فى الحال قائلة بتصميم وإخلاص : (كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق) .

ولقد بنت تأكيدها له صلى الله عليه وسلم بأن الله لن يخزيه أبداً، على خمسة قواعد كلهن فى الصميم من الإحسان والمواساة . فلا محل إذن للخشية مما رأى ومما شاهد ومما سمع لأول وهلة مطلقاً . ذلك أنه صـلى الله عليه وسلم محصن بحصون ما جبل عليه من إسداء الإحسان والمواساة ، محصن من أسباب الخوف وأسباب الخزى كلها ، وأسباب الإخفاق والقلق جميعها ، ممهدة له السبل للفلاح المحقق ولتلقى فيوض الوحى الصادق من ربه الكريم المنان ، الذى يحب المحسنين ويصطفى منهم من يشاء لرسالاته ووحيه المبين .

وقالت له : وتحمل الكل ، أى تحمل العاجز الذى ليس بطاقته أن يستقل بأمره . قال تعالى : (وهو كلٌ على مولاه) . وجعل الكل مواساة قيمة كريمة ، وتعطف على الفقير المعدم الذى لايملك شروى نقير ، فتسعفه

وتسعده . وتعين على نوائب الحق ، أى أنك تعين كل من نابته نائبة تستأهل الإسعاف والحنو والعطف والمساعدة السخية المبرورة . . .

ومن كانت هذه الخصال الوضاءة الخمس مغروسة فى أعماق جوانحه مثلك يارسول الله ، فلن يناله ضيم ، ولن يخشى مغبة أمر ، ولن يخزيه الله أبداً ، بل إن الله يفتح له بواسع كرمه وبمحبته لخصال الخير والإحسان والمواساة ، يفتح له كل أبواب السعادة وأبواب الرحمة وأبواب الفضل ، فما رأيته وشهدته وسمعته كله خير ودليل قائم على اصطفاء الله جل وعز له بالوحى وبالرسالة العظمى . .

ذلك هو المعنى الكبير الذى هدفت إليه خديجة الكبرى وأحسنت صوغه فى عبارات مشرقة مطمئنة فى أول تلقيه رسالة الخير والهدى إلى العالم .. وخلاصة مقالتها أن الإحسان والمواساة من الإنسان — أى إنسان — مجلبة للخير والفتح المبين ، وهما ركنان عظيمان تنبنى عليهما الحياة الشريفة وحياة المجتمع الإنسانى الفاضلة ، فمن رزق فضيلة المواساة فهو فى الذروة من الإنسانية المفلحة الظافرة على الدوام . ونحن نوجه نظر الصائم وندعوه بدعوة الخير والإسلام فى شهر الصيام ، ندعوه إلى أن يأخذ حظه الطيب من هذا الحديث الشريف ، فينفتح مغلق ضميره إلى القيام بما يستطيعه من إسداء الإحسان ، فينتهز الفرصة الثمينة المواتية له قبل فواتها عليه ، ويحرص كل الحرص فى ثنايا هذا الشهر الكريم على مواساة فقراء المسلمين وعجزتهم وأراملهم ، والإحسان إليهم مما وهبه الله ، ويضع فى أيديهم من غير منّ ولا حب شهرة ولا رياء ، ما يزيل حاجتهم وكربتهم ، وما يعيد البسمة المفقودة إلى وجوههم والفرحة المنشودة إلى ضمائرهم . فهبة جمعيات البر والإحسان ، إنها تقوم بهذا العمل الخير بنظام وانتظام ، فساعدها بما تستطيع ، ولا تبخل عليها بدرهم ولا دينار ، بل لا تبخل على نفسك بما يعصمك من لفحات النار ، وبما يؤهلك للمقام فى دار السلام ، ويجعل لك عند خالقك خير المقام ، وعند مواطنيك الذكر الحسن على الدوام (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وصدق الله العظيم .

فضل الصدقة

إننا فى شهر رمضان ، شهر الصيام والبر والصدقة والوئام . . والصدقة بما تجود به النفس عن رضا واختيار من مال على الإخوان والأخوات والفقراء والبائسين . والصدقة فيها أجر كبير فى سائر الأوقات والأيام ، وأجرها فى هذا الشهر المبارك أكبر وأوفر . والصدقة مع أن فيها تفريج كرب إخوانك المتضايقين من الفقراء المتبرمين من الحرمان ، فإن فيها أيضاً مزايا ونفحات لاتقل عن ذلك . فمن فرّج كربة أخيه المسلم فرج الله عنه كربته بفضله ومنه ، والصدقة تنمى المال ، ويبارك الله لنا فيه ويرزقنا الرزق الوافر الحسن بسببها . ويفتح علينا بها أبواب الخير والثراء والصحة والنجاح .

جاء فى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «بينا رجل بفلاة من الأرض إذ سمع صوتاً فى سحابة يقول : اسق حديقة فلان ، فتتبع السحابة حتى انتهت إلى حديقة فأفرغت ماءها فيها ، فنظر ، فإذا رجل فى الحديقة يحول الماء بمسحاة ، فقال له : ما اسمك يا عبد الله ؟ فقال : فلان : الاسم الذى سمعه فى السحابة ، فقال : إنى سمعت قائلا يقول فى هذه السحابة : اسق حديقة فلان ، فما تصنع فى هذه الحديقة ؟ فقال : إنى أنظر ما يخرج منها فأجعله ثلاثة أثلاث : ثلث أتصدق به ، وثلث أنفقه على عيالى ، وثلث أرده فيها ».

ونخلص من هذا الحديث النبوى الصحيح أن الرجل الذى أنعم الله عليه بأن أمر السحابة السيارة بأن تتجه لمسقى حديقته ، كان من أهم أسباب سعادته إسداء الصدقة ، فقد سار على خطة حميدة تتمثل فى أنه يقسم محصول حديقته الزراعى ثلاثة أقسام : قسم يتصدق به على الفقراء والمساكين ، وهذا القسم هو القسم الأول بين الأقسام الثلاثة .. وقسم ينفقه على عياله ، وهذا أيضاً داخل فى باب الصدقة والبر .. والقسم الثالث يرده فى الحديقة ، أى يعيد زراعتها به حتى تؤتى ثمارها مرة أخرى ، وهكذا دواليك . ومحل الشاهد هنا وبيت القصيد أن يتحقق للصائم أن الصدقة مفتاح للخير ، لا بالنسبة للمتصدق عليه وحده ، وإنما بالنسبة لمن يعطى الصدقة أيضاً . وفى حديث السحابة الذى مر بك آنفاً خير مصداق وأقومه على ذلك ، ومركز الحديث من هذا أيضاً أن تحقق هذه الصدقة فتخرجها عن طيبة نفس وإقبال ضمير ، وتسلمها لمن تلمح فيهم البؤس والحاجة من إخوتك المسلمين وأخواتك المسلمات خاصة فى هـذا الشهر الميمون الذى تتضاعف فيه الحسنات وتكبر فيه الخيرات.

الحلم والرفق فى رمضان

الحلم والرفق مادخلا فى شىء وإلا كانا زينة له ، وهما من أهم الأخلاق الفاضلة التى ينبغى للمسلم التحلى بهما . وإذا أضيف إليهما البذل فى وجوه الخير وسبل الرشاد كان المرء فى ذلك على غاية المراد . . يقول الشاعر العربى الحكيم :

ببذل وحلم ساد فى قومه الفتى وكونك إيـــاه عليك يســـير

والحلم سيد الأخلاق . .

وفى شهر رمضان كم هو جميل أن يكون الصائم ذا أخلاق نبيلة يتوجها تاجا الحلم والرفق .

من المشاهدات المتتابعة فى شهر الصيام ، وبخاصة فى أصائل أيامه أن كثيراً من الصائمين قد تتحول طباعهم الرفيعة الهادئة الرزينة إلى شراسة وضراوة ، وربما حدث ذلك منهم لأسباب تافهة وجزئية وبسيطة ، وهؤلاء القوم ، أو هذا المعشر ، أو هذا النفر من الصوام ، كان بوسعهم أن يروضوا أخلاقهم فى شهر صيامهم باستدامتهم لتلاوة آى الذكر الحكيم ، لذكر الله وتسبيحه وتمجيده ، بدلا من المهاترات فى داخل منازلهم على بعض أسرهم وبعض أبنائهم وخدمهم ، وخارج منازلهم إذا خرجوا لشراء بعض حاجياتهم فى الأسواق مع عملائهم ومع من تجمعهم بهم المصادفات والظروف . .

إقامة المحبة والألفة والاحتمال مقام التنافر والتنابذ بالألقاب ، لسبب أو آخر هى من خصائص شهر رمضان ، شهر المحبة والألفة والتعاون ، وليس رمضان شهر التباغض والتشاتم والتهاتر والتنافر . .

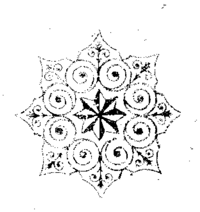
أرجو أن يتنبه الصائمون إلى هذه الحقيقة الإسلامية وأن يعوها بقلوب واعية لئلا تفسد عليهم الإساءة الكثير من ثوابهم فى شهر الصيام ، ولئلا تبدل حسناتهم فيه إلى سيئات ، ولئلا يحرموا من لذة راحة الضمير وسعادة الصيام وفرحته الغامرة .

ليس لله حاجة فى صيام أحد من الناس، وتركهم الماء والطعام وظمأهم، ربنا غنى عنه كل الغنى ، والله هو الغنى الحميد ، وإنما الناس هم الفقراء المحتاجون دائماً إلى فضله وإحسانه ومغفرته ورضوانه . . ولا يرضى الله تعالى أن يترك المرء طعامه وشرابه وهو صائم ، ثم يأتى من الأفعال ويقترف من الأقوال والخصال ما يتنافى والخطوط الرئيسية لصيامه . .

جدير بنا أن نحارب هذه العادة التى طالما بعثرت الأجر فى شهر رمضان تلقاء أمور ثانوية وتافهة وأقل من الثانوية ، إنها أثر سلبى من آثار النفس الأمارة بالسوء . . وليس هذا الصنيع من صنيع الشياطين، فإنهم ولله الحمد مصفدون ومقيدون فى سائر شهر رمضان .

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضـاع وإن تفطمه ينفطم

وبعد : فقد وردت أحاديث عن سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، ناطقة بتقدير الحلم والأناة .. قال لأشج عبد القيس : (إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة) وقال : (إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله) .



الفصل الثالث

رمضان فى شمائل رسول الله

صلى الله عليه وسلم

- من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان .
- شهر رمضان ينبوع من أخلاق النبوة .
- الدعاء والعبادات فى رمضان .
- ليلة القدر وفضائلها .
- مسلم يسأل والنبى يجيب .

oooo



من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان

سيرة النبي صلوات الله وسلامه عليه عطرة فواحة بالنفحات فى كل الأمكنة والأزمنة .

وسيرته مدونة فى سائر مراحلها الكريمة العظيمة ، يستوى فى ذلك أقواله وأفعاله وأحواله .

وقد عنى علماء الحديث النبوى ، وحفظته وحفاظه بتدوين سيرته عليه الصلاة والسلام فى شهر رمضان . فحدثونا بأسانيدهم القوية الصحيحة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس بالخير . وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل .

وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فى رمضان حتى ينسلخ .. يعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن . فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة .

روى هذا الحديث حَبْرُ الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، وجاء سنده إليه ، ومتنه فى صحيح الإمام البخارى .

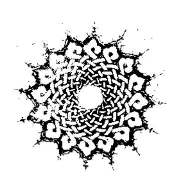
ونحن إنما نهدف من وراء تقديم الحديث المذكور ، لتعيه القلوب ولتقتدى فيه بسيد الخلق ، ولقد كان الرسول عليه صلوات الله وسلامه فى شهر رمضان أجود فيه بالخير من الريح المرسلة : والمواد بالريح هنا — كما ورد فى فتح البارى — ريح الرحمة التى يرسلها الله تعالى لإنزال الغيث العام الذى يكون سبباً لإصابة الأرض الميتة وغير الميتة ، فيعم خيره وبره من هو بصفة الفقر والحاجة ، ومن هو بصفة الغنى والكفاية ، أكثر مما يعم الغيث الناشىء عن الريح المرسلة .

فما أجدرنا بالاقتداء به فى فعل الخيرات وإقام الصلوات . فى هذا الشهر السابغ بالمبرات والحسنات. ولما كان فى البلاد المقدسة وفى مكة المعظمة بالذات (جمعية تحفيظ القرآن الحكيم) للناشئة وأفلاذ أكبادها ، وفى ذلك كما لايخفى على ذى لب حفظه للقرآن فى الصدور وامتثال حميد للمحافظة عليه ، وتنفيذاً حكيماً لحفظ الله له ، وفيه عــلاوة على ذلك تنشئة الناشئة على التمسك بالإسلام والعض عليه بالنواجذ ، وذلك بحفظ كتاب الله الذى قال الله تعالى فيه : (ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين) ..

والهدى من شأنه أن يكبح جماح الضلال ، وأن يفتح طرق الاستقامة للسائرين على ضوئه ، ويبعدهم عن بنيات الطريق ، ويجنبهم متاهات الفكر والحياة . والمعاونةعلى تحفيظ القرآن فيه من المثوبة والأجر مالا يعلمه إلا الله.

والحديث النبوى الذى نطق به الصادق المصدوق من أن القرآن يشفع لقارئه عند الله يوم القيامة .. فيشفعه الله فيه ... أذكركم فى حرارة وإخلاص ويقين بأن الكثيرين ستكون منهم الإجابة المطلوبة والمرجوة منهم إن شاء الله لتقديم الإعانات المادية المجزية إلى هذه الجمعية المباركة القائمة بمهمة إسلامية كبيرة وإلى أمثالها رغبة فى حفظ بيضة الإسـلام ، وسعياً وراء حماية ديننـا الحنيف من تسرب المذاهب الهدامة إلى أصل أصوله ، وكبحاً لجهودها الرامية لتقويض بنيانه المتمثل جل هذا السعى الخبيث الحثيث فى محاربة القرآن بكل الوسائل، ومن أهم هذه الوسائل الحيلولة دون حفظ ناشئة المسلمين له .

إن ما تتبرعون به من نقودكم فى واقعه ليس كبيراً على كل حال بالنسبة لأهمية جمعيات تحفيظ الناشئة للقرآن، وأننا بهذا التبرع الكريم إنما نعيد الماء إلى مجاريه ، والسيف إلى قرابه ، وماء حياة الدين إلى حقولها ، وأخيراً لا آخراً : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) .



شهر رمضان

ينبوع من أخلاق النبوة

بمناسبة الحديث عن شهر رمضان المبارك ، رأيت أن أطالع بعض أمهات كتب السيرة النبوية الشريفة العطرة ، لعلى أتمكن من اقتباس أضواء رائعة للقراء منها ، فى هذه المناسبة الكريمة .

ولقد ساقتنى المناسبة القائمة إلى موسوعة حافلة فى هذا الشأن ، هى الموسوعة المعروفة بـ « الطبقات الكبرى » للإمام المحدث المؤرخ الثقة محمد ابن سعد بن منيع البصرى الزهرى .

ومن الحق أن نقول : إن هذه الموسوعة الخالدة قد جمعت فأوعت الصحيح الثابت من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخبار آبائه وبيئاتهم ، وأنباء قومه معه ، وصحابته الكرام ، ومن جاء بعدهم فى القرنيين الهجريين : الأول والثانى ، من التابعين وتابعيهم ...

إنها تقدم لنا « ينبوعاً » نضراً مشرقاً مستوعباً لأطراف تلك الحقبة الزاهرة .. كما تتحدث بأسلوب أدبى سهل ممتع عن شئون المجتمعات فى جاهلية وإسلام ، فى أمانة متجردة وتحقيق حافل .

وها هى « الطبقات الكبرى » تروى لنا تلك « القصة » التى حدثت لراويها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وراويها هو المقداد بن الأسود بالتبنى ، وابن عمرو بالحقيقة ، البهراوى الحضرمى الأصل ، وأحد كبار الصحابة الذين لهم سابقة فى الإسلام . وشهد المعارك الإسلامية كلها مع رسول الله .

فقد تحدث المقداد بالقصة إلى عبد الرحمن بن أبى ليلى الذى رواها لمن تحدث إليه ..

قال المقداد :

« أقبلت أنا وصاحبان لى قد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهة ، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بنا إلى

أهله ، فإذا ثلاثة أعنز ، فقال رسول الله : احتلبوا هذا اللبن بيننا ، فكنا نحتلب ، فيشرب كل إنسان نصيبه ، ونرفع لرسول الله نصيبه ، فيجيء من الليل فيسلم تسليماً لا يوقظ نائماً ويسمع اليقظان ، ثم يأتي المسجد فيصلي ، ثم يأتي شرابه فيشربه ، فأتاني الشيطان ذات ليلة فقال لي : محمد يأتي الأنصار فيتحفونه ، ويصيب عندهم . ما به حاجة إلى هذه الجرعة فاشربها ! فما زال (الشيطان) يزين لي ، حتى شربتها ، فلما وغلت في بطني وعرف (الشيطان) أنه ليس إليها من سبيل ، ندمني (أي حملني على الندم) وقال (لي) : ويحك! ما صنعت ؟ ! شربت شراب محمد ، فيجيء فلا يراه ، فيدعو عليك ، فتهلك ، فتذهب دنياك وآخرتك . .

قال المقداد في معرض حديثه عن نفسه : وعلى شملة من صوف ، كلما رفعت على رأسي خرجت قدماي ، وإذا أرسلت على قدمي خرج رأسي ، وجعل لا يجيئني نوم .. وأما صاحباي فناما ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : فسلم كما كان يسلم ، ثم أتى المسجد فصلى ، وأتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئاً ، فرفع رأسه إلى السماء ، فقلت : الآن يدعو علي ، فأهلك .. فقال : « اللهم أطعم من أطعمني ، وأسق من سقاني » .

قال المقداد : فعمدت إلى الشملة ، فشددتها علي ، وأخذت الشفرة ، فانطلقت إلى الأعنز أجسهن ، أيتهن أسمن ، فأذبح لرسول الله ، فإذا هن حُفّـل (بضم الحاء المهملة وتشديد الفاء الفوقية وفتحها وبعدها لام)– أي كثير لبنها – كلهن ، فعمدت إلى إناء لآل محمد ، ما كانوا يطمعون أن يحلبوا فيه ، فحلبت فيه حتى علته الرغوة ، ثم جئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أما شربتم شرابكم الليلة يا مقداد ؟ فقلت : يا رسول الله ؟ اشرب . فشرب ثم ناولني . فأخذت ما بقي فشربت ، فلما عرفت أن رسول الله ، قد روى ، وأصابتني دعوته ، ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض . فقال رسول الله : (إحدى سوءاتك يامقداد) ! . فقلت : يارسول الله .. كان من أمري كذا ، وصنعت كذا . فقال رسول الله : (ما كانت هذه إلا رحمة من الله . أفلا كنت أدنيتني ، فتوقظ صاحبيك هذين فيصيبان منها ؟) .. قلت : والذي بعثك بالحق ما أبالي إذ أصبتها وأصبتها معك ، من أصابها من الناس » .

ذلك متن القصة الطريفة التى رواها لنا ابن سعد فى طبقاته ، ولنا أن نستخرج من ثناياها الأقباس الوضاءة التى أشرنا إليها آنفاً .. فنقول :

أولا — يؤخذ من القصة إن غذاء نبى الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كان نزراً خفيفاً ، فعشاؤه هو جرعة من لبن ، يتركها له أصحابه بعد أن يأخذوا أنصبتهم من اللبن .

وبدهى أن الغذاء الخفيف أصون لصحة الجسم والعقل وأضمن لشفوف الروح .. وهذا هو ما تدعو إليه السنة النبوية الكريمة فى كل زمان وخاصة فى شهر رمضان .

ثانياً — إن الجهد والجوع اللذين حاقا بالمقداد حملاه على أن يقدم على تناول عشاء رسول الله الذى تركه هو وصاحباه للرسول ، ليكون حصته من اللبن .. فلم يؤنبه الرسول على فعلته كما كان يخشى ، وإنما استقبل ذلك بالرضا وبالدعاء لمن يطعمه أو يسقيه تلك الليلة بدلا من عشائه الذى ذهبت به المسغبة العارمة من أحد أصحابه الأجلاء .. وكأنه عليه السلام يدرك بوحى من الله أن منهم المستيقظ الذى يسمع هذا الدعـــاء من فمه فيسعى لتحقيق مطلبه .. وكان المقداد نفسه هو الرجل الموفق للقيام بهذا العمل الإيجابى ، بدلا من عمله السلبى الآنف ، وقد نال بذلك رضا الرسول ودعاءه .. ولكن الرسول من كرم شيمته لم ينس صاحبى المقداد ، فنبه المقداد إلى أنه كان من الخير أن يوقظهما ليتناولا من اللبن المحلوب الجديد .. لما مسهما من قبل من أضرار الجهد والجوع حين إقبالهم جميعاً على المدينة واستضافته لهم .

ثالثاً — إن فى المقداد شيئاً من روح المرح والجسارة الناشئة من طهر الضمير وصفاء الروح ومقة الرسول الكريم .. فالمرح بما ضحك ضحكته الكبرى بين يدى رسول الله ، والجسارة الودية بما تناول من عشائه . وقد أشار الرسول إلى مافيه من مرح بقوله له حينما ضحك : « إحدى سوءاتك يامقداد ! » .

رابعاً — إن التسامح والغض عن الهفوات غير المتعمدة ، أو غير المقصود بها الإساءة ، هى من صميم أخلاق النبى العظيمة التى طالما نادى بها ، وعمل على غرسها فى جوانح النفوس بقوله وعمله وإرشاده فى كل زمان ومكان .

فأخلق بالمسلمين فى شهر رمضان أن يكونوا امتداداً خالداً لينبوع أخلاق النبوة فى هذا الشهر وفى كل شهر من الزمان .

الدعاء والعبادات فى رمضان

فى شهر رمضان عبادات عامة وعبادات خاصة ..

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى هلال رمضان قال : «اللهم اجعله هلال رشد وخير . آمنت بالذى خلقك » يقولها ثلاث مرات .. ثم يقول : « الحمد لله الذى ذهب بشهر شعبان وأتى رمضان » .

وكان عليه أفضل الصلاة والتسليم إذا دخل شهر رجب يدعو ربه ويقول : « اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان » .

والعبادات العامة فى شهر رمضان هى نفس العبادات العامة فى شهور السنة من صلاة وزكاة مال إذا حل أجلها ، ومن سائر ما يتعبد الله به شرعاً .. ماعدا الحج الذى له وقت مخصوص . وذلك كذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، ولكن رمضان خصص بكثرة تلاوة القرآن ، واختص بعبادات تقام فيه خاصة دون سائر شهور السنة ، وهذه منقبة ومزية خاصتان به .

فمن عباداته الخاصة به إقامة صلاة التراويح التى هى إحياء مستمر للياليه الوضيئة . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس التراويح فى ثمانى ركعات ، ويكملون ما تبقى منها فى منازلهم ، ثم صلى الناس التراويح فى عهد الصحابة عشرين ركعة ، ويقال إنه فى عهد عمر بن عبد العزيز صليت التراويح ستاً وثلاثين ركعة .

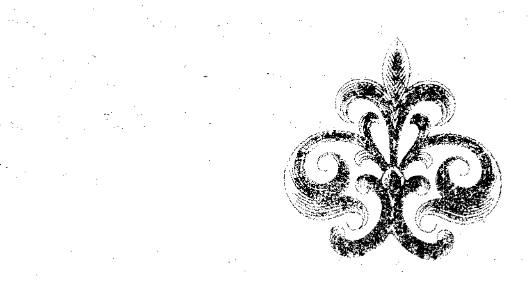
ومن عباداته المميزة به فى الغالب سنة الاعتكاف فى المساجد . وتعريف الاعتكاف أنه مكوث المسلم فى المسجد للعبادة وحدها . ويستحب أن يكون الاعتكاف فى العشر الأواخر من شهر رمضان : ويشترط فيه النية والطهارة والاعتكاف من أعمال النبي صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان . فكان يعتكف

فى العشر الأواخر فى رمضان حتى توفاه الله . والاعتكاف فى العشر الأواخر من شهر رمضان هو رياضة للنفس أخص وأجل رياضة خاصة لها وأعنى بها الصيام الذى هو حزم لشهوات الإنسان فى مأكل ومطعم ومنكح .

وينبغى للصائم أن يكثر من عبادة الله والصلاة له ، وتلاوة القرآن المجيدة ، وأن يكثر من دعائه تعالى ، فالدعاء مخ العبادة كما ورد فى الحديث الصحيح ، وينبغى له كثرة الاستغفار وتسبيح الله وتقديسه ، والصلاة على نبيه المصطفى ، فإن الله أمرنا بالصلاة عليه والسلام فى محكم كتابه فقال ، بعد ما أخبرنا بأنه هو وملائكته يصلون عليه : (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) .

والمعتكف من المستحب له أن لا يتكلم إلا بخير ، وأن يجتنب ما لا يعنيه أو يشغله عن طاعة مولاه ، وعليه أن لايخرج لحاجة إلا لما لابد منه . ومن خواص شهر رمضان وجود ليلة القدر فى آواخره .

ولهذه الليلة العظيمة حديث مستقل .



ليلة القدر وفضائلها

بممارستك لشئون الحياة ما ظهر منها وما بطن، لامحالة أننا ندرك أن المادة ليست كل شيء للإنسان فى هذه الحياة ، فكما أن فى الإنسان جوانب تحتاج إلى غذاء مادى فكذلك فى حياة الإنسان جوانب أخرى هى بحاجة إلى غذاء روحى .. الغذاء المادى بمختلف أنواعه وشكوله وأحجامه يختص بالجسد وحده ، فكلاهما مادى ومن تراب .. والغذاء الروحى بمختلف أنواعه وأحجامه يختص بالروح ، فكلاهما روحى ومن السماء . وإذا أراد الله بالمرء خيراً مكنه من تغذية الجانب المادى فى حياته ، بما أبيح له فى الدين الإسلامى من طعام وشراب . والإسلام دين رفق ويسر وفطرة ، وفى الوقت نفسه يوفقه إلى تغذية الجانب الروحى فى حياته بالغذاء الروحى الأسمى .

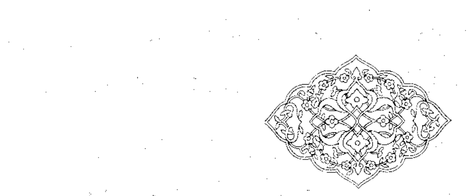
وباغتذاء الجانبين معاً بغذائيهما المذكورين فى اعتدال واتزان وانسجام تكون إنسانية الإنسان عالية ومحققة فى كيانه بأروع معانيها وأحسن مفاهيمها.. سقنا هذه التقدمة لنتوصل من طريقها إلى تبيان أهمية ليلة مباركة فى هذا الشهر هى ليلة القدر التى نزلت فى تبيان قدرها سورة مستقلة من سور القرآن تتلى ليل نهار ، ألا وهى سورة القدر :(إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها ، بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر) . والضمير فى كلمة (أنزلناه) يعود إلى القرآن المجيد . والضمير فى جملة (هى حتى مطلع الفجر) عائد لليلة القدر ذاتها .

وقد حدد النبى صلى الله عليه وسلم فى أحاديث صحيحة ظروف ليلة القدر ، فأنبأنا — وهو الصادق المصدوق — بأنها فى العشر الأواخر من شهر رمضان.. وأمر أصحابه الكرام بالتماسها فى العشر الأواخر . وقد نص القرآن على أنها خير من ألف شهر ، وألف شهر توازى ثلاثة وثمانين عاماً وأربعة أشهر .. فأعظم

بليلة واحدة تساوى ذلك القدر الهائل من الشهور ، وهـذا القدر الكبير من السنين ، إن هذه الليلة المباركة وردت أحاديث نبوية عديدة صحاح فى إيضاح نفحاتها ومزاياها ، وفى الحث على طلب المسلمين الصائمين لها .

جاء فى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطب بشأنها صحابته حينما أروها فى المنام فى السبع الأواخر من رمضان وقال لهم : (أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر .. فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر) .

هـــذا ومما ينبغى أن يصرف الصائم إليه جهوده الخيرة فى هذه السبع الأواخر أو العشر الأواخر من رمضان ، أن يتجرد لعبادة ربه ليل نهــار ، ليكون له فى ذلك جزيل الثوب ، ولينال مرضـاة الله فى شهر الله ، وليسعد فى دنياه ، وفى أخراه .. ندعو الله تقدست أسمــاؤه أن يوفقنا جميعاً لمــا فيه مرضاته ، فإنه جل وعـــلا إذا رضى عنـــا بسبب إقبالنا المخلص على طاعته وعبادته ، فإننا لاجرم يعود إلينا عزنا الذى افتقدناه ، وترتفع أسهمنا فى الحيـــاة ، ويعلو مقامنا بين الأنام ، ونتربع أرائك النهوض المنشود لنا ، فتعود إلينا قدسنا رغماً على أعدائنا ، ويعود إلينا طائر مجدنا الذى نزح عنا بسبب فقرنا وإقفارنا من رياض الاستقامة والإصلاح والرشاد .



مسلم يسأل والنبي يجيب

أود أن أشير بحديث وجيز جامع عن خصائص الإسلام والإيمان ، وهى الخصائص التى يجدر بنا أن نعمل بها على خير منوال .

روى أحمد بسنده عن الصحابى السلمى الجليل الذى تحدث عن نفسه فقال : إنه كان حين أسلم فى صدر الإسلام الأول كان « ربع الإسلام » أى رابع من أسلم « عمرو بن عنبسة » .. قال : قلت : يا رسول الله من معك على هذا الأمر ؟ قال : حر وعبد . قلت : ما الإسلام ؟ قال : طيب الكلام وإطعام الطعام . قلت : ما الإيمان ؟ قال : الصبر والسماحة . قلت : أى الإسلام أفضل؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده . قلت : أى الإيمان أفضل ؟ قال : خلق حسن . قلت : أى الصلاة أفضل ؟ قال : طول القنوت . قال : أى الهجرة أفضل ؟ قال : أن تهجر ما كره ربك » .

هذا الحديث النبوى من جوامع الكلم وروائعه . وإننا نلمس فى هذا الحوار الجميل الذى دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين هذا الصحابى الجليل خصائص الإسلام ومزاياه التى اختص بها وامتاز .

يسأل عمرو بن عنبسة فى إخلاص : من معك على هذا الأمر ؟

ويجيبه الرسول صلوات الله عليه وسلامه : (حر وعبد) جواب موجز مركز فى ذروة الفصاحة .. ويقصد الرسول أن جميع الذين دخلوا فى دين الإسلام يومئذ كانوا شخصين أحدهما حر وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وعبد وهو بلال بن رباح رضى الله عنه ..

ويسأل عمرو بن عنبسة : ما الإسلام ؟

ويجيبه الرسول : (طيب الكلام وإطعام الطعام) . وهاتان خصيصتان نبيلتان من خصائص الإسلام ، فطيب الكلام فى ذروته النطق بالشهادتين وما يتبعها من القول الحسن فى مجالات الحياة فى مسرة وألم ، وفى هدوء وغضب . وإطعام الطعام كذلك من خصائص الإسلام (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) . وحسن المقال وإطعام الطعام يجتذبان ذوى النفوس الطيبة والضمائر النقية وغيرهم إلى حظيرة الإسلام .

ويسأل عمرو بن عنبسة : (ما الإيمان ؟) .

ويجيبه الرسول : (الصبر والسماحة) . وهاتان أيضاً من خصائص المؤمن الصادق الإيمان . . الصبر من أهم خصال المسلم ، وقد مدح الله الصابرين . والسماحة هى أيضاً من خصائص هذا الدين الحنيف ، ولهذا توصف الديانة الإسلامية بأنها سمحة . (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .

ويرتقى عمرو بن عنبسة فى أسئلته فيسأل الرسول : (أى الإسلام أفضل؟)

ويجيبه الرسول : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » . وهذه خصلة من أكرم خصال المسلمين وخلال الإسلام (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) .

وترتفع درجة أسئلته حين يسأل : (أى الإيمان أفضل ؟) .

فيأتيه الجواب الحاسم الشامل : (خلق حسن) . والخلق الحسن سيد الأخلاق وهو من أهم خصال المسلم . وآية سمو هذا الخلق ورفعته أن الله سبحانه وتعالى مدح نبيه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه به ، فقال له : (وإنك لعلى خلق عظيم) . وقال الرسول عن نفسه : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

واستمر عمرو بن عنبسة فى تقديم أسئلته التى يبعثه على تقديمها حرصه على معرفة الخصال الكبرى المميزة للدين الجديد فيقول : (أى الصلاة أفضل ؟).

ويجيبه الرسول : « طول القنوت » .. والقنوت هو المواظبة على الطاعة .. قال الله تعالى عن مريم : (وكانت من القانتين) .. وكان هذان : السؤال والجواب قبل نزول فرضية الصلاة المعلومة الكيان على الرسول .. لأن إسلام عمرو بن عنبسة كان قبل ذلك .

وكان آخر سؤال قدمه للمصطفى قوله : (أى الهجرة أفضل ؟) .

ويجيبه الرسول : (أن تهجر ما كره ربك) .. وهجرة الإنسان المسلم لما يكره ربه معناها هجراته واجتنابه الكلى لاقتراف ما حرمه الله من المعاصى . وهذا أيضاً يدخل فى صميم خصائص المسلم التقى النقى الإسلام .

الفصل الرابع

من أحكام رمضان

- صوموا تصحوا .
- صوم الدهر كله .
- تعجيل الإفطار وتأخير السحور
- السفر المبيح للفطر .
- المرض المبيح للفطر .

oooo



صُومُوا تَصِحُّوا

قبل ثلاثة عشر قرناً ونيف قرن قال الرسول الأمين صـــلى الله عليه وسلم للمسلمين : « صوموا تصحوا » ..

وهذا الحديث يعتبر بحق من جوامع كلمه الصاعـدة إلى قمة البلاغة . . فقد حوى على وجازته ، إذ هو جملتان فقط ، جميع مزايا الصوم الصحيحة التى أشاد بها الطب فى القديم والحديث .

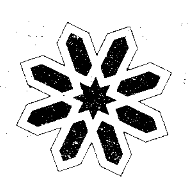
يقول الطب القديم : إن الصوم عامل قوى من العوامل المنقية للجسم من سموم الأغذية ، ويقول الطب الحديث : إن الصوم من أسباب طول العمر . وهو يصلح أجهزة الجسم ويريحها من متاعب العمل ، وهو مفيد لأمراض القلب ، ومفيد أيضاً فى تخفيف البدانة . وهو مفيد لضغط الدم فيجعله يهبط تلقائياً ، ومفيد للبول السكرى داء العصر الحاضر . . ويفيد من أمراض الكلى ويقى بإذن الله منها ، كما ينفع المريض بداء النقرس وبداء مفاصل الجسم .. كما يفيد الأنسجة والخلايا إذ يجعلها هادئة ومرتاحة بعامل إراحته لجهاز الهضم من معاناة طحن ثقيل المأكول وهضمه .

ويقول الطب الحديث : أن من فوائد الصيام أنه يترك الفرصة لتخليص الكبد والغدد والأنسجة مما تراكم عليها وفيها من رواسب الطعام وأملاحه ، كما يحميها من الاحتقان ويزيله منها . والعقل السليم فى الجسم السليم ، فإذا سلم العقل بسلامة الجسم من الآفات ازداد العقل إشراقاً ولمعاناً وصفاءاً كما هو مشاهد .. والصوم مجلبة لذلك جميعاً .

ومن هنا ظهرت المعجزة الباهرة فى قول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه قبـــل ثلاثة عشر قرناً ونيف : « صوموا تصحوا » ، فجعل الصيام سبباً أساسياً ومباشراً لنيل الصحة المنشودة . وإضافة لما ذكر آنفاً فإن

الصوم كما يفيدنا الطب الحديث يبطىء ضربات النبض بالنسبة لها فى زمن الإفطار ، وهو يجعل عضلة القلب فى راحة وفى هدوء أوفر بالنسبة للإفطار ، وهو مفيد أيضاً لأمراض الجلد ، فالصوم يقلل كمية الماء فى الدم ، وبقلة الماء فى الدم يقل فى الجلد ، فتخف أمراض الجلد تبعاً لقلة الماء فى الدم .. وربما تشفى . وبالصوم يكون المريض أقل تعرضاً للالتهابات وأكثر قدرة على مكافحة العدوى . والصوم يشفى أمراض الأرتكاريا والأكزيما وأمراض البشرة ، مثل حب الشباب وقشرة الرأس التى ينشأ منها الصلع غالباً .

وخير الصيام ما يجمع بين صحة الجسم ونشاط الروح ، وهو النظام الذى كان عليه العمل فى شهر الصوم زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن صحابته الكرام ، فقد كان الرسول وصحابته يقللون طعامهم فى إفطار وفى سحور .. كانوا فى الفطر يفطرون على تمرات ثم يشربون من الماء الكفاف ، ويقومون لصلاة المغرب ، فإذا انتهوا منها تناولوا ما تيسر لهم من طعام فطر خفيف غير مركب ولا منوع ، ومن ثم يستقبلون العبادة المفروضة والمسنونة والذكر وتلاوة القرآن ، وصلاة التراويح ، ومذاكرة العلم ، والدعاء وإحياء السنة النبوية فى القول والعمل .



صوم الدهر كله

فى الصوم فوائد جسيمة لجسد الإنسان وفوائد جسيمة لروحانيته ، فهو من ناحية الجسد ، يصفيه من الأمراض ، ويعكس عليه الصحة ويضفيها عليه وينميها ويقوى الجسم بما قلل ونظم من غذاء وماء .. وهو من الناحية الروحانية يهذبها ويشذبها ويجعلها صافية كالجوهر النقى ، وباجتماع المزيتين لشطرى الإنسان اللذين تتكون منهما ذاتيته يرتفع مستوى الإنسان . وقد أدركنا أن صيام شهر رمضان كله إنما فرض من الله على عباده المؤمنين ، لمصلحتهم الدينية والدنيوية .

وآية استفادة الجسم من الصوم هى قوله صلى الله عليه وسلم : « صوموا تصحوا » ، وآية استفادة الروح من الصوم قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث قدسى : « الصوم لى وأنا أجزى به » . مادمنا قد علمنا كل ذلك فهناك مرتبة سامية من مراتب الصوم المشروع وهى صيام الدهر كله . وليس الشرع الإسلامى يقصد بصيام الدهر كله أن يصوم الإنسان ليله ونهاره على الدوام ، فيواصل الصوم دائماً فى ليل وفى نهار ، فهذا من التكليف والمشقة والعسر بمكان . والدين الإسلامى يسر ، (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) .. وإنما المراد بصوم الدهر معنى إسلامى محدود .. ومحدد .. حدده الرسول المصطفى صلوات الله عليه وسلم للمسلمين تحديداً كريماً ميسراً ، لايكلفهم شططاً ، ولا يرهقهم من صومهم ولا من حياتهم عسراً . فعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : « بلغنى أنك تصوم النهار وتقوم الليل ، فلا تفعل . فإن لجسدك عليك حظاً ، ولعينك عليك حظاً ، وإن لزوجك حظاً . صم وأفطر . صم من كل شهر ثلاثة أيام ، فذلك صوم الدهر » قال : قلت له : (يا رسول الله إن لى قوة) . قال : « فصم صوم داود عليه السلام ، صم يوماً وأفطر يوماً » ..

ومن نصوص هذين الحديثين الشريفين ندرك المعنى الذى يستهدفه دين الإسلام من صوم الدهر ، فمن صام ثلاثة أيام من كل شهر ، عدا شهر رمضان الذى فرض صيامه كله ، فقد صام الدهر ، ومن صام يوماً وأفطر يوماً فقد صام الدهر . . وللمرء أن يقوم من الصومين بما يطيق ومالا يرهقه من أمره عسراً ولا يكلفه فى حياته وملابساتها الشخصية والاجتماعية رهقاً ، فالدين يسر ، والله كريم واسع العطاء والفضل والإنعام .

تعجيل الإفطار وتأخير السحور

يريد الله بنا اليسر ولا يريد بنا العسر ، والإسلام دين الفطرة ودين اليسر ، ويكفينا من تيسيره لأمور العبادة على المسلمين تخفيف الصلوات المفروضة عليهم من خمسين إلى خمس مع بقاء أجر الخمسين لهم . وحتى شهر الصيام جعل فيه الإسلام تيسيراً كبيراً للصيام ، ويتمثل ذلك فى مشروعية الإفطار للصائم فى أول الليل وفى مشروعية سحوره فى آخر الليل ، فالإسلام يعلم أن للجسد البشرى مطالب تقيم أوده من أكل وشرب ، حتى يستطيع أن يقوم بالعبادة المنشودة على خير وجه وأقوم سبيل . ووجبة الفطر استحب الإسلام لمصلحة الصائم ، أن يعجل بها عقب غروب الشمس مباشرة .

ووجبة السحور استحب الإسلام ، ولمصلحة الصائم أيضاً ، أن يؤخر تناولها إلى آخر لحظة قبل الصبح .

والوصال ، وهو صوم الليل والنهار معاً ، نهى عنه الرسول نهياً قاطعاً باتاً. ومثله الانفصال عن الزواج ، فقد نهى عنه الرسول أيضاً نهياً باتاً قاطعاً فقال : « لا رهبانية فى الإسلام » . وجاء فى الذكر الحكيم التنديد بمن يقومون بالرهبانية على زعم أنها عبادة لله رفيعة الشأن . لقد نعاها على الرهبان وبين لهم ولنا أنهم هم الذين ابتدعوها وليست من أمر الله فى شىء . فقال جلت عظمته : (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) .

وكل ما فى طعام الصائم وشرابه فى الإسلام أنهما نقلا من النهار إلى الليل .. فلك بالليل أن تأكل وأن تشرب .. الأكل والشرب المباح فى الليل فى شهر الصيام .. إذا ظمئت شربت ، وإذا جعت أكلت ، ولا تثريب عليكم فى الإسلام من ذلك مطلقاً . أما فى النهار فلا .. هى نقلة للغذاء المادى مقصودة من أجل نقلة الأهداف الروحية كاملة إلى نهار الصائم ، لتشرق نفسه ، وتسلم

من أوضار المادية الرعناء ، ولتحلق على جناحين من الاستغناء الكلى عن مادتى الطعام والشراب اللذين يشارك الإنسان فيهما سائر الحيوان . وحينئذ يدعو بصفته الجديدة إلى مرتبة ملائكة الرحمن الأطهار . .

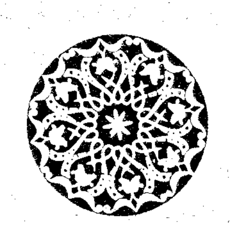
عقد مسلم فى صحيحه باباً عنوانه : (باب فضل السحور وتأكيد استحباب تأخيره وتعجيل الفطر) . ومن ثم ساق الأحاديث النبوية الدالة على تأكيد استحباب التعجيل فى الفطر برمضان ، وتأكيد استحباب التأخير فى السحور فى شهر رمضان . فأما تعجيل الفطر فيه فنحمد الله تعالى على أنه لا يزال مرعياً وقائماً إلى اليوم ، أفضل ما تكون الرعاية وخير ما يكون القيام ، فبمجرد ما تحتجب الشمس وراء الأفق ترى الصائمين مقبلين فى كل مكان على فطرهم.

وأما تأخير السحور ، فإن المشاهد أن أغلب الصائمين اليوم يجنحون إلى تقديمه بدلا من تأخيره . وهذا أمر مخالف لما ندب إليه الرسول المصطفى فى أحاديثه الصحاح وعمل السلف الصالح من تأخير السحور . ونحن ننبه إلى إلى ذلك أنظار جمهرة الصائمين .فكل خير فى اتباع من سلف ، وكل شر فى ابتداع من خلف .. وأعتقد أن تعجيل السحور تاريخياً بدأ منذ العهد العثمانى فى هذه البلاد . . فكانت أغلبية الصائمين تتسحر عند ضربة المدفع الأول ، واستمر الحال بعد ذلك على ما كان .

هذا وأن محل الشاهد هنا — كما يقول النحويون فى مثل هذه المواقف — هو توجيه أنظار الصائمين إلى أن يخففوا ما استطاعوا من طعامى الفطر والسحور فلا يملأون بطونهم حتى حد البطنة . فالبطنة تذهب الفطنة ، وتجعل الصائم طيلة بياض نهاره لائذاً بالنوم من الصوم .. وليس هذا هدف الإسلام من الصوم ولا من تقرير الفطر والسحور للصائم .

وتخفيف وجبتى الفطر والسحور يعين الصائم على العبادة ، فخفة البطن من طعام وشراب يعين المرء على أن يكون خفيف الحركة ، قليل النوم ،

وفى هذا ما يساعده على دوام العبادة والذكر ، مما يتفق ومشروعية الصيام . وربما تفوته البطنة فى فطر وسحور أداء بعض الصلوات فى أوقاتهما ، وأحرى قيام الليل بالتراويح وذكر الله وتقديسه وتلاوة كتابه المجيد بتدبر وتأمل ووعى . إن الغالب أن يكون الصائم مستغرقاً حينئذ فى لذيذ الأحلام وشهى المنام وربما تفوته إضافة إلى ذلك عبرة الشعور المباشرة بألم الجوع والظمأ ، أثناء نومه المطرد المنسجم بالنهار ، ومن ثمة يفتقد الإحساس المباشر بما يعانيه البؤساء من جوع كارب وفقر مدقع ، وهم لايملكون ما يسد جوعتهم أو حاجتهم إلى الكساء ، فى حر وشتاء . وحينئذ يفقد من حيث يدرى أو لا يدرى وازع العطف عليهم ومواساتهم والبر بهم ، فلا تتحرك نفسه المتلبدة بغيوم البطنة ، وسحب النوم إلا حركة آلية محدودة الأثمار والآثار ، وهى لاتكاد تذكر بحال من الأحوال ، ولا تسمن ولا تغنى من جوع . .



السفر المبيح للفطر

عندما يدخل شهر رمضان فإما أن تكون فى حالة إقامة أو فى حالة سفر ، فإن كنت مقيماً صحيح الجسم وجب عليك الصيام ، أما إذا كنت مسافراً أو على سفر ، فقد أباح الله لك الفطر بنص كتابه الحكيم : (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر).

وقد وردت أحاديث نبوية صحاح فى الترخيص للمسافر بالإفطار . . وورد حديث صحيح عن جابر رضى الله عنه قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فرأى رجلا قد اجتمع عليه الناس وقد ظلل عليه ، فقال : ما له؟ فقالوا : رجل صائم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس من البر الصيام فى السفر » أخرجه مالك والبخارى وأبو داود والنسائى .

وهناك حديث آخر يقول فيه عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر ، فقال : « انتظر الغداء يا أبا أمية . قلت : يا رسول الله إنى صائم . قال : إذن أخبرك عن المسافر . إن الله تعالى وضع عنه الصيام ونصف الصلاة » أخرجه النسائى .

وحديث آخر مروى بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى وضع شطر الصلاة عن المسافر ، وأرخص له فى الإفطار ، وأرخص فيه للمرضع والحبلى إذا خافتا على ولديهما » أخرجه أصحاب السنن .

وحديث آخر مروى بالسند الصحيح عن محمد بن كعب قال : أتيت أنس بن مالك رضى الله عنه ، وهو يريد سفراً ، وقد رحلت له راحلته ، ولبس ثياب سفره ، فدعا بطعام فأكل . فقلت له : سنة ؟ قال : نعم ، ثم ركب . . أخرجه الترمذى .

وعن عبيد بن جبير قال : كنت مع أبى بصرة الغفارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رضى الله عنه ، فى سفينة من الفساط فى رمضان فلدفع فقرب غداؤه . فقال : اقترب . قلت : ألست ترى البيوت ؟ قال : أترغب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . فأكل وأكلت . .) أخرجه أبو داود .

ونحن إذ نقدم هذه الأحاديث فإننا نحيط علماً بسماحة الإسلام وتيسيره على المسلمين فى إباحة الفطر للمسافر .

هذا وللفقهاء والأئمة الأعلام ترتيبات مقروءة فى مسألة الفطر فى السفر وهى مدونة فى كتب الفقه ومن شاء فليراجعها فى مظانها .



المرض المبيح للفطر

الإسلام دين يمتاز على سائر الأديان بأنه دين الفطرة ودين اليسر . وقد أوجب الله تعالى فى محكم كتابه الصيام على المسلمين فى شهر رمضان ، يصومونه بأمره تعالى كاملا من أوله إلى آخره ، ولكنه جلت حكمته يعلم معاذير البشر وضعفهم ، فرأف بهم فى هذا الشأن رأفة الرب الحكيم ، فاستثنى من وجوب الصوم بعض حالات خاصة ، فى طليعتها المرض ، فقال تعالى بعد بيان وجوب الصوم على من شهد الشهر : (ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) وأتبع ذلك قوله تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) . . فالمريض يباح له الفطر فى حالات ، ويجب عليه الفطر فى حالات ، ولكنه حين يصح، عليه أن يقضى صيام مافاته من أيام رمضان فى أيام أخر بعده ...

وظاهر النص فى المرض يطلق إباحة الفطر فى طروئه على الصائم أو وجده فيه قبل حلول الشهر . فأى مرض مسوغ للفطر ، وذلك هو المفهوم من منطوق الآية الشريفة ، وبخاصة وقد نصت على أن الله يريد اليسر بعباده ولا يريد العسر بهم . ونحن مأمورون بإطاعة القرآن المحكم أساس أسس تشريع الإسلام وقد لاحظ الأئمة والفقهاء والعلماء ماقد ينجم من القول بعموم الترخيص بالفطر فى المرض بالإمعان فى الترخص خصوصاً لمن لاوازع دينياً عميقاً لديهم ، فاحتاطوا للأمر خشية من يفضى الترخص إلى باب إهمال العبادات المفروضة لأدنى سبب ، وقد فصل لنا العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور فى تفسيره (التحرير والتنوير) هذه المسألة تفصيلا دقيقاً جميلا يبدو لى أن فى إيراد ملخصه باقة من ثقافة إسلامية مهمة . .

قال ما ملخصه : اتفق العلماء على أن المرض الغالب الذى لا يستطيع المرء معه الصوم بحال بحيث يخشى الهلاك أو مقاربته هو مبيح لفطر الصائم بل موجب

له . (والأصل فى هذا الإيجاب فيما يبدو لى) أنا كاتب هذه الكلمة قوله تعالى : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) .

وقد اختلف الفقهاء فى المرض الذى دون المهلك ، فذهب محققوهم إلى أن المرض الذى تحصل به مع الصيام مشقة زائدة على مشقة الصوم للصحيح من الجوع والعطش المعتادين بحيث يسبب أوجاعاً أو ضعفاً إلخ .. هذا المرض يجيز للصائم أن يفطر . والقائلون بهذا القول هم الأئمة : مالك وأبو حنيفة والشافعى ، وذهب بعض الأئمة كعطاء والبخارى وابن سيرين إلى إطلاق المرض الذى يجيز للصائم الفطر ، لقد أفطر الإمام ابن سيرين من علة فى إصبعه ، وانتابت الإمام البخارى علة خفيفة فأفطر ، وهذان الإمامان لاترقى إليهما شبهة إهمال العبادة لمجرد حب الترخص .

بقى علينا أن نردد كلمة أخيرة فى هذا البحث القيم ، وهى أن غاية عبادة الصوم هى اتقاء المحارم واجتناب المآثم وعصيان هوى النفس الأمارة بالسوء، والمسلم الذى ينزع إلى الانفلات والانطلاق من أداء الفريضة المكتوبة عليه تحت ستار الترخص لا خير فيه منـــذ البدء ، لأن الغاية الأولى من أداء الفريضة لم تتحقق لديه بما صنع من إهمال فريضة الصوم لعذر غير وارد شرعاً ، وهذا الدين دين الله ، والله أعلم بسرائر عباده ، فلا تخفى عليه خافية من خفايا ضمائرهم ، وهو محاسبهم بانحراف نياتهم وانحراف أعمالهم نتيجة لانحراف نياتهم عن هداه القويم . فليتق الله المترخصون المنفلتون والمندفعون فى متاهات الانحراف ، وبخاصة فى هذا الشهر العظيم الكريم ، وينتهزوا فيه الفرصة الثمينة السانحة قبل فواتها . ففى إضاعة الفرص الغصص وفى انتهازها البشرى والغبطة والفلاح » .

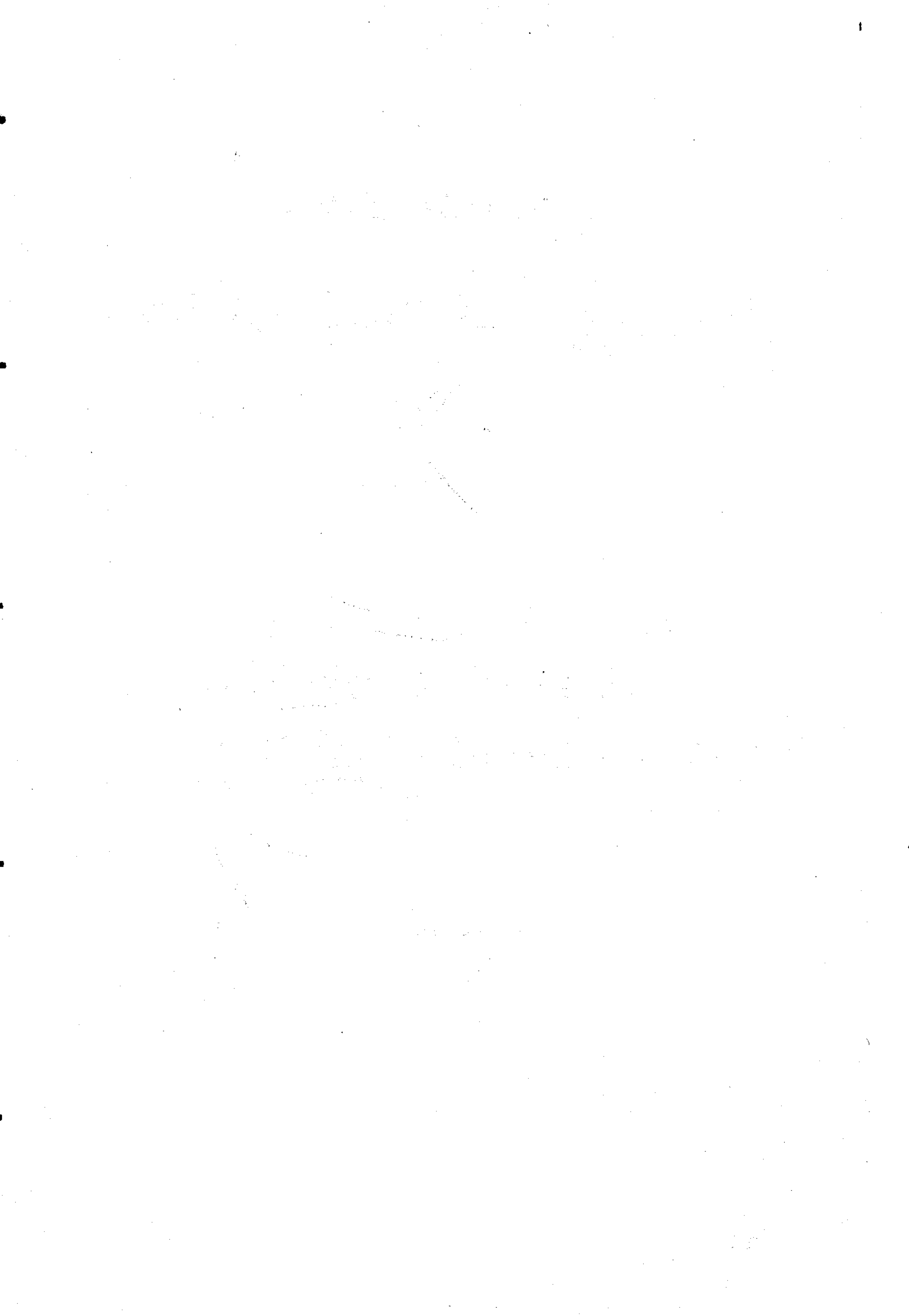


الفصل الخامس

مطالع رمضان فى تاريخ الإسلام

- رمضان فى عهد الخلفاء الراشدين .
- أحداث رمضانية فى صدر الإسلام .
- الأحداث الإسلامية فى رمضان .
- من فتوحات رمضان الخالدة .
- المجتمع الإسلامى الصالح كما يصوره الإسلام .

oooo



رمضان فى عهد الخلفاء الراشدين

يعتبر شهر رمضان موسماً خاصاً للصيام وعبادة الرحمن ، وكان أصحاب رسول الله والتابعون يحيون لياليه إما بتلاوة القرآن المجيد أو بالذكر ، ومتابعة سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يجدون كل الجد فى تطهير أنفسهم من رعونة الماديات ومن الهوى ودسائس الشيطان . وكان المسجد المكى والمسجد النبوى يعجان بالقرآن ، يتلى جهراً وسراً ودون الجهر وفوق السر ، وكانا عامرين بالمصلين والذاكرين الله قياماً وقعوداً .

وكانت المنازل خلايا عبادة وصلاة وذكر ومذاكرة للعلم . وتفكر فى خلق السموات والأرض(ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار). وكانوا يصلون فيه الرحم ويقرون الضيف على قلة أموالهم فى فطر وفى سحور .

وكان فطرهم إما على تمرات أو بخبز ملة من شعير وبما ليس خضراً ولا مثلجاً من الماء، وما كانوا يملأون بطونهم مطلقاً من الطعام، ولوكان عندهم منه ما يكفى لملء بطونهم منه، لأنهم كانوا يؤثرون الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى تقليل المأكول والمشروب فى شهر الصيام خاصة . وكان ديدنهم الدعاء ، يدعون الله سراً وجهراً ، ويبتهلون إليه وحده سبحانه وتعالى لينصر الإسلام ، ويدحر الكفر والشرك ، ويعم نور الإسلام الأرضين ، وكانوا يدعونه لصالح أنفسهم وأهلهم وأبنائهم فى الدين والدنيا والآخرة . وكانو يدعونه لينجيهم من عذاب جهنم ، إن عذابها كان شديداً . وكانوا يدعونه ليدخلهم جنات عدن بفضله ورحمته وكرمه .

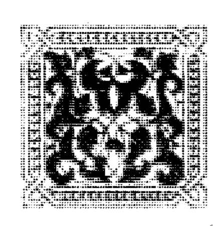
وليالى الوتر من شهر رمضان كانوا أكثر إحياءاً لها من غيرها بالعبادة والذكر والدعاء وقراءة القرآن فى المسجد النبوى والمسجد الحرام . فإذا أقبلت

العشر الأواخر من رمضان تحروا فيها ليلة القدر سيدة ليالى رمضان، فاستقبلوها بمزيد من العبادة والصلاة والدعاء والخشوع والإنابة إلى الله .

وكان للفقراء والمحتاجين نصيب كبير فى أموالهم ، وللسائل والمحروم حظ وافر فيها . وقد ذكر أنه فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانت إنارة المساجد فى ليالى رمضان مساعدة للمصلين والعابدين فيها على القيام بعباداتهم وصلاتهم ..

وقد جمع عمر رضى الله عنه الناس على صلاة التراويح خلف إمام واحد ، وهذا ما هو متبع لدينا الآن فى هذه البلاد .

وهذا الجمع لصلاة التراويح على إمام واحد الذى قام به عمر هو داخل من حيث العموم فى إطار الحديث النبوى القائل : (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعـــدى) . وبالجملة فإن السلف الصالح كان يرى شهر رمضان موسماً خاصاً بعبادة الله وطاعته ، والإمعان فى هذه العبادة والطاعة إلى أكبر قدر ممكن ، والاعتصام بالجوع والظمأ ابتغاء زيادة الأجر والمثوبة . ونحن اليوم نراه كذلك أيضاً ، ولكننا مع ذلك لا نتمسك فيه بما كان السلف الصالح يتمسك به فيه من ذلك إلا بقدر محدود .



أحداث رمضانية فى صدر الإسلام

منذ العصر النبوى حتى الآن حدثت فى شهر رمضان المبارك أحداث كثيرة قد تملأ مجلداً ، لو أراد الباحث تتبعها واستقصاءها واحداً بعد واحد فلا تسعه المجلدات ، ولكنا سنقتصر على ذكر حدثين هامين من أحداث رمضان فى صدر الإسلام .

روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال : (يا معشر الأنصار ألا أعلمكم بحديث ؟ فذكر فتح مكة ، ثم قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة ، فبعث الزبير على إحدى المجنبتين ، وبعث خالد بن الوليد على المجنبة الأخرى ، وبعث أبا عبيدة بن الجراح على الحُسَّر ، فأخذوا بطن الوادى ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته . فنظر ، فرآنى ، فقال : ياأباهريرة فقلت : لبيك يارسول الله ، قال : فقال : اهتف لى بالأنصار ، ولايأتينى إلا أنصارى ، فهتفت بهم ،فجاءوا حتى أطافوا به وقد وَبَّشَت — أى جمعت — قريش أوباشاً — أخلاطاً من الناس — لها وأتباعاً . فلما أطافت الأنصار برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا ترون أوباش قريش وأتباعها ؟ ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى . . أحصدوهم حصداً حتى توافونى بالصفا . قال أبو هريرة : فانطلقنا .. فما يشاء أحد منا أن يقتل منهم من يشاء إلا قتله . فجاء أبو سفيان بن حرب فقال : يا رسول الله أبيحت أو قال : أبيرت خضراء قريش ، فلا قريش بعد اليوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن) قال : فغلق الناس أبوابهم .

هذا حادث مهم يطول شرحه وتفصيله ، وليس بوسع هذه العجالة استيعاب مضامينه . والحديث يـــدل على أن قريشاً أردات مباغتة رسول الله

صلى الله عليه وسلم بحرب شعواء حين دخوله مكة . لقد جمعت جموعاً كثيرة من القبائل ، ولكنه عليه السلام فوّت عليهم الفرصة بما وهبه الله من عزم وحزم ، فكتب الكتائب وجعل على رأسها أبطالا مغاوير ، وما اكتفى بذلك بل أصدر أمره الكريم بأن يحصدوا أولئك الأوباش المجمعين حصداً .

وقد كان هذ الحادث فى شهر رمضان ، لأن فتح مكة كان فى شهر رمضان كما هو معلوم .

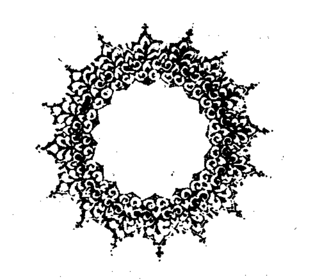
وثانى الحادثين وقع أيضاً فى شهر رمضان بخلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فقد كتب إلى أهل رُعاش كلهم ، بنجران ، الكتاب التالى نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم من عمر أمير المؤمنين إلى أهل رُعاش كلهم . سلام عليكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإنكم زعمتم أنكم مسلمون ، ثم ارتددتم بعد ، وإنه من يتب منكم ويصلح لا يضره ارتداده ونصاحبه صحبة حسنة ، فادكروا ولا تهلكوا ، وليبشر من أسلم منكم . فمن أبى إلا النصرانية فإن ذمتى بريئة ممن وجدناه بعد عشر تبقى من شهر الصوم — من النصارى بنجران .

أما بعد فإن يعلى كتب يعتذر أن يكون أكره أحداً منكم على الإسلام أو عذبه عليه الآن يكون قسراً جبراً ووعيداً لم ينفذ إليه منه شىء .

أما بعد فقد أمرت يعلى أن يأخذ منكم نصف ما عملتم من الأرض ، وإنى لن أريد نزعها منكم ما أصلحتم) .

ولكنا نرى أن الرفق وحسن الإدارة الإسلاميين يجريان بين ثنايا سطور هذا الكتاب العمرى ، كما نلمس فيه سلاسة الأسلوب وجماله وبساطته ودقته . وقد جعل هذا الكتاب العمرى العشرة الأواخر من رمضان المبارك حداً فاصلا وموعداً نهائياً لتقرير أهل رعاش المتقلبين لإظهار موقفهم النهائى من الإسلام

فإما أن يكونوا مسلمين بحق فيبقبهم عمر فى رعاش ، وإما أن لا يكونوا فيجليهم عنها ، والباعث على إثارة هذا الموضوع من قبل عمر أنهم قد بدرت منهم بادرة مخالفة لكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران ذلك الكتاب الذى شرط عليهم الرسول فيه أن لايصيبوا الرباء ، وإلا فذمة رسول الله بريئة منهم، وقد أصابوه فعلا فى عهد عمر بالذات. ونلمح فى الكتاب عناية من سيدنا عمر بن الخطاب بإشعارة لأهل رعاش بأن ما قام به عامله عليهم حسب ما أخبروه أو أخبربه من قسرهم على الإسلام قد اعتذر عنه ذلك العامل ، ولم يكن هذا العمل منه نتيجة أمر تلقاه من عمر . . فلا إكراه فى الدين ، فالإسلام دين سمح ونور مبين من دخله من تلقاء نفسه عن قناعة وإيمان بمثله العليا فأهلا به وسهلا ، ومن أبى فلا عدوان عليه .



الأحداث الإسلامية فى رمضان

للإسلام تاريخ حافل ، وإذا وعى المسلم تاريخ الإسلام ، فذلك رصيد قيم لتطوير حياته ، وتحصين مقوماته ، وتمديد مقدراته ، وتحسين مستقبله الخاص والعام ، المادى والروحى ، والتاريخ موضوع يشترك فيه الزمان والمكان والإنسان .

ورمضان جزء من أجزاء العام الذى هو بدوره جزء من أجزاء الزمان العام .

ورمضان فى الإسلام جزء مهم من زمانه المديد .

فإذا رجعنا إلى أرمضانات التى انقضت منذ صدر الإسلام إلى هذه الأيام فإننا نجد أنها حوت أحداثاً جساماً مهمة وخالدة .

ففى رمضان من السنة الثامنة للهجرة كان فتح مكة المكرمة .

وفى رمضان من سنة ١٥ للهجرة كانت معركة القادسية التى انتصر فيها المسلمون انتصاراً مؤزراً على إحدى الإمبراطوريتين اللتين كانتا تسودان الدنيا يومئذ ، ألا وهى الإمبراطورية الفارسية .

وفى رمضان سنة ٦٤ للهجرة بايع الناس بمكة المشرفة ، عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، بالخلافة ، وهو الصحابى ابن الصحابى الجليل ...

وفى رمضان سنه ١٢٩ للهجرة ظهرت الدعوة لبنى العباس فى خراسان .

وفى رمضان سنة ٢١٧ للهجرة أسس العرب مدينة كانديا بجزيرة كريت.

وفى رمضان سنة ٣٦١ للهجرة تم بناء الجامع الأزهر الذى ظل منارة للعلم الإسلامى عشرات القرون ، وسمى بالأزهر نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها .

وفى رمضان سنة ٣٦٢ للهجرة استولى المعز لدين الله العبيدى ، على القاهرة .

وفى رمضان سنة ٥٠٠ للهجرة حاصر السلطان محمد قلعة الباطنية القريبة من أصفهان ، وملكها ، وقتل الباطنية الذين كانوا معتصمين فيها .

وفى رمضان سنة ٥٨٤ للهجرة نهض البطل الإسلامى الخالد بحق وصدق ، صلاح الدين بن أيوب من دمشق ، قاصداً مدينة صفد بفلسطين ، وكانت ترزح تحت وطأة احتلال الصليبيين ، وقد مكنه الله من الاستيلاء عليها بالأمان .

وفى رمضان سنة ٥٨٨ للهجرة رحل السلطان صلاح الدين بن أيوب إلى بيت المقدس ، فحصنها وشيد الأسوار عليها .

وفى رمضان سنة ٥٩١ هـ ملك يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن سلطان المغرب ، بلاد الأندلس التى كانت محتلة بالإفرنج آنذاك .

وفى رمضان سنة ٥٩٥ للهجرة ، تمكن الملك العادل من صد جموع الصليبيين عن مدينة صور التابعة للجمهورية اللبنانية اليوم .

وفى رمضان سنة ٦٥٨ للهجرة هزم الجيش الإسلامى المصرى حشود التتار الضاربة هزيمة منكرة . وكان المنتصر يومئذ هو الظاهر بيبرس .

وفى رمضان سنة ٦٦٦ للهجرة استولى الملك الظاهر على أنطاكية ، فقد انتزعها من التتار وأسر منهم نحو عشرة آلاف أسير .

وفى رمضان سنة ٦٦٩ للهجرة هاجم الملك الظاهر ضاحية حصن عكار . وامتلك ذلك الحصن من الصليبيين .

وفى رمضان سنة ٨٧٩ للهجرة استولى السلطان محمد العثمانى على بلاد القرم.

وفى رمضان سنة١٢٤١ للهجرة استولى إبراهيم باشا على مدينة ميسو لونجى من بلاد اليونان .

وفى رمضان سنة ١٣٣٣ للهجرة بعث الملك حسين بن على ، إلى

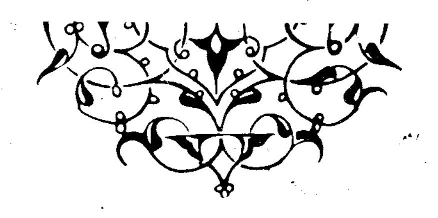
هنرى مكماهون ، برسالة تشتمل على الشروط التى يقترحها الملك حسين بشأن القضية العربية ومستقبلها .

وفى رمضان ١٣٤٨ هـ وصل المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود إلى البحرين ، وذلك بعد أن اجتمع بالمغفور له جلالة الملك فيصل ابن الحسين . كان ذلك من الملك عبد العزيز استجابة لدعوة تلقاها من الشيخ عيسى بن خليفة حاكم البحرين رحمه الله .

وفى رمضان سنة ١٣٦٢ للهجرة سافر سمو الأمير فيصل (جـــلالة الملك آنذاك) ومعه أخوه سمو الأمير خالد بن عبد العزيز (ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء آنذاك) من جدة إلى أمريكا ، إجابة لدعوة المستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك .

وفى رمضان سنة ١٣٦٧ للهجرة كان ابتعاث النواة الأولى من البعثات العسكرية السعودية . ابتعثها الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله إلى لندن لينظم أفرادها فى سلك الكلية البحرية (سان هيرست) وتلتها بعثة عسكرية إلى أمريكا ابتعثها جلالته أيضاً للخارج لكى تتلقى فن الأنواء الجوية الخاصة بفن الطيران ، وذلك بمطار (تشاتوت بالينوس) .

وهكذا كان تاريخ كثير من شهور رمضان فيضاً من الخير والبركة والفتوح على العالم الإسلامى .



من فتوحات رمضان الخالدة

ليت للمسلمين والعرب اليوم قائداً حربياً محنكاً مقداماً جوالا موفقاً ، يرسم الخطط السرية والحربية المحكمة ، وينفذها خير تنفيذ ، لدحر أعداء الله الصهاينة الذين يحتلون اليوم أرض الله المقدسة فلسطين وثالث الحرمين (القدس) تحت سمع العرب والمسلمين وبصرهم .

ذكرنى هذا الواقع الأليم بقصة متقنة الحبك ، وقعت حوادثها فى أيام مظلمة بفلسطين باحتلال الصليبيين لها . وقد نسجت بطولة صلاح الدين بن أيوب درع الوقاية منها ، فدفع الله بتوفيقه له فى المكيدة وفى الحرب معاً ، شراً عظيماً إذ ذاك عن فلسطين ، وعن بلاد العرب والمسلمين أجمعين .

ذكر المؤرخون أنه بينما كانت معارك فلسطين مشتعلة وضارية بين جموع الغازية والجيش الصلاحى المدافع ، الذى كان يرى الهجوم الدائم أنجح وسائل الدفاع ، إذ بلغ صلاح الدين أن الدوق المغامر ريجلند قائد الصليبيين طمعت نفسه فى الاستيلاء على الحجاز ، واستعد لهذه المغامرة ، وصار ينهب قوافل المسلمين ، ويأسر من فيها منهم ، فنهب قافلة إسلامية مسافرة إلى قلعة الكرك . وكانت فيها أخت صلاح الدين ، وقد أسرها جيشه مع الأسرى . وجمع ريجلند أسرى المسلمين وقال لهم بوقاحة : (إذا كنتم تؤمنون بمحمد فليأت لينقذكم) ...

وحينما هم ريجلند بغزو الحجاز كان وراء الأكمة ماوراءها .. وقد تأكد صلاح الدين من عزم ريجلند على غزو الحجاز ، فأعلن الجهاد فى سبيل الله ، فقد بلغ الحزام الطبيين ، فأنشبها معارك ضارية على الجيوش الصليبية المغيرة ، وما اكتفى بمعارك السلاح المادى المتقابل ، بل استعمل مع سلاحه الحربى الحديدى ، سلاح الخديعة والحيلة الفتاك الذى ينقص العرب والمسلمين استعماله اليوم . أمر جيوشه بأن تقف على مداخل طرق التموين والمواصلات وعلى

آبار الماء . كما أمر جنده المغاوير بالإفطار فى رمضان الذى كانت هذه المعارك الفاصلة ناشبة فيه ، وذلك اتباعاً لعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوتى بدر وفتح مكة اللتين كانتا فى شهر رمضان المبارك . .

وحينما دخل الصليبيون المعركة الحاسمة كانوا واهنى القوى ، خائرى العزائم ، فطرق التموين مسدودة فى وجوههم ، وطرق المواصلات كذلك ، وآبار الماء محجوزة عنهم . وزاد صلاح الدين من ضراوة المعركة الحربية ضد أعداء الإسلام ، فأمر جيشه الظافر بإحراق العشب فى كل مكان يقرب أو يحيط بالجيوش الصليبية ، وحملت الريح إليهم النار والدخان ، مما زاد الجو عليهم التهاباً . وقد زاد ذلك من ضراوة الحرب عليهم ، وفى الوقت نفسه أعمل صلاح الدين حد السلاح فيهم ، فسقطوا صرعى ، ومن لم يصرع منهم به سقط أسيراً. وكان فى مقدمة هؤلاء الأسرى قائدهم الدوق ريجلند نفسه ، وحينما وقع أسيراً بين يدى صلاح الدين خيره صلاح الدين بين الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبين القتل ، فرفض الإسلام ، فقتله صلاح الدين بيده وفاءاً بنذره وتتويجاً لنصره . وهكذا أنقذ الله مهد العروبة والإسلام على يد صلاح الدين بطل العروبة والإسلام .

المجتمع الإسلامى الصالح
كما يصوره الإسلام

يجدر بنا نحن المسلمين الصائمين أن نطبق جل ما يهدف إليه ديننا الحنيف من تكوين المجتمع الإسلامى الصالح فى مشارق الأرض ومغاربها .

فالمسلم للمسلم يمثل أحد أعضاء الجسم الذى إذا اشتكى عضو من أثر تداعى لشكواه سائر الجسد بالألم والحمى . والمجتمع الإسلامى الصالح لنا خططه الإسلام تخطيطاً سليماً محكماً منظماً قويماً حكيماً .. وفيما يلى نقدم صوراً سريعة تمثل نماذج حية للمجتمع الإسلامى الصالح الذى حقق الإسلام تكوينه ودعمه وتشييده فى عصر السلف الصالح :

المشـــــورة :

من الأسس التى وضعها الإسلام لبناء المجتمع الإسلامى القويم ، المشورة . أمر بها القرآن الكريم ، ودلت عليها أحاديث نبوية صحيحة ، وعمل الصحابة الأجلة وكبار التابعين ومن بعدهم من صالحى المؤمنين .

وقد قال الله تعالى فى محكم كتابه فى وصف المجتمع الإسلامى الراشد : (وأمرهم شورى بينهم) .

تبادل المحبة بين الناس :

ومن مبادئ الإسلام التى غرس بذورها الصالحة لإيجاد المجتمع الإسلامى القوى القويم ، التحاب بين الناس ، والناس هنا هم المسلمون . قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (والذى نفسى بيده لاتدخلوا الجنة حتى تسلموا ، ولا تسلموا حتى تحابوا ، وأفشوا السلام تحابوا ، وإياكم والبغضة فإنها هى الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين). أخرجه الإمام البخارى فى الأدب المفرد .

وهذه تعليمات محددة لكيفية تكوين المجتمع المسلم الصالح الذى تسوده المحبة ــ الجنة مغلقة الأبواب عن الناس حتى يسلموا ، ولا يكونون مسلمين حقاً حتى يتحابوا . والوسيلة إلى التحاب فيما بينهم هى إفشاء السلام بينهم ، ونبذ الحقد والبغضة التى تتلف جذور وحدة الأمة .

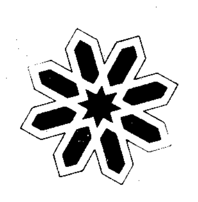
حسن الخلق :

يكفينا من أهمية حسن الخلق فى دعم بنيان المجتمع الإسلامى الرشيد المتفوق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نوه منا فى الحديث الصحيح عن الأوج الرفيع الذى يحتله صاحب حسن الخلق ، فقال عن نفسه مرشداً لنا : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

لقد بلغ صلى الله عليه وسلم الذروة فى حسن الخلق ، كما هو مشاهد من سيرته الوضيئة الوضاءة . وبهذا القول الكريم رسم لنا خطة العمل فى تحسين أخلاقنا لرفعة شأننا فى الدين والدنيا والآخرة . ومعنى تحسين الخلق تحويله من القبح المذموم إلى الحسن الممدوح بالمعاناة والاهتمام الفعال ، بعملية التحويل هذه على الدوام .

سماحة النفس والكرم :

يدخل فى باب تحسين الخلق سماحة النفس وكرم اليد . حدث الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم صحابته الكرام فقال : (حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير إلا أنه كان رجلا يخالط الناس ، وكان موسراً ، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر . قال الله عز وجل : « فنحن أحق بذلك منه ، فتجاوزوا عنه » .



الفصل السادس

أسمار رمضان

- ربيع المؤمن
- رمضان فى الأدب العربى
- رمضان قديمًا فى هذه البلاد
- رمضان كما أدركناه
- من أسمار رمضان

oooo



ربيع المؤمن

ينسب اللغويون تسمية شهر رمضان ، بهذا الاسم ، إلى وقوعه حين التسمية ، فى موسم الحر الشديد .

يقول أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء فى كتابه « الأيام والليالى والشهور » : « وإنما سمى رمضان لرموض الحر وشدة وقع الشمس فيه ،وقال بعضهم : لارتماض الحر فيه » ، ويشرح الأنبارى فى شرحه « لديوان المفضليات » بيتاً ورد فى قصيدة أوردها الديوان لمرار بن منقذ هو :

لهبــان وقـــدت حزانــه   يرمض الجندب منه فيصر

بما معناه : إن الغليظ من الأرض متقد حتى أن الجندب يحترق صدره فيضرب برجله فى جناحه فيسمع له صرير » . وأضاف إلى ذلك قوله : « رمض الرجل يرمض ، إذا اشتدت عليه الرمضاء وأحرقته »[1] .

وشهر رمضان هو الشهر الوحيد الذى ذكر اسمه صريحاً فى القرآن المجيد : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ؛ فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

ومن الخطط العربية فى تسمية الأشياء مراعاة المناسبة القائمة فيها أو حولها حين إطلاق الاسم عليها . وقد عم هذا السبب تسميتهم لسائر شهور السنة القمرية العربية المتداولة حتى اليوم .

فالمحرم سمى « محرماً » لتحريم العرب القتال فيه . وقيل سمى بذلك لأنه شهر حرام . و « صفر » سمى به لغزو القبائل العربية فيه فيتركون من لقوا

(١) شرح ديوان المفضليات – للأنبارى ص ١٥٠ طبعة بيروت ١٩٢٠ م .

صفراً من المتاع[١] ، أو لأنهم كانوا يغزون فيه الغزوة الصفرية ، وهى سفرة لهم كانوا يسافرونها[٢] . و « الربيعان » الأول والآخر ، سميا بذلك لارتياع العرب فيهما . و « الجماديان » سميا هكذا . لجمود الماء فيهما من شدة البرد .. وكان ذلك واقعاً فعلا ، حين إطلاق الاسم عليهما .

و « رجب » سمى به لترجيبهم ، أى تعظيمهم آلهتهم فيه .

و « شعبان » سمى به لتشعب القبائل فيه وتفرقهما .

و « شوال » سمى به لشولان النوق فيه بأذنابها إذا حملت . ومعنى « الشولان » المذكور هنا رفعها لأذنابها .

و « ذو القعدة » سمى به لقعود العرب فيه برحالهم عن الغزو ، لايطلبون كلأ ولا ميرة .

و « ذو الحجة » سمى به لحجهم فيه[٢] .

* * *

وبدهى أن الأشهر القمرية العربية هى أشهر متحركة فى إطار الزمان العام ، تزحف دائماً إلى الأمام فى مجالها المحدد بمواسم الصيف والخريف والشتاء والربيع ، فإذا جاء شهر رمضان مثلا فى شهر صيف متقد ، فليس معنى ذلك أنه يستديم مجيئه فيه .. إنه سيجىء بعد حقبة معينة فى ضد الصيف تماماً : فى الشتاء كما حدث فى شهر رمضاننا هذا بالذات وفى رمضانات كثيرة سبقته . وقس عليه ما سموه بضد اسمه (الجماديين) فليس معنى مجيئهما فى شدة البرد إبان إطلاق الاسم عليهما إنهما سيظلان كذلك أبد الدهر .. بل إنهما يسيران مع سائر الشهور فى مجال الزمن حتى يدخلا فى شدة الحر أو فى الربيع أو فى الخريف ، وهكذا نرى الشهور العربية القمرية فى دوران منظم مستديم .. ومثل الأشهر العربية فى هذا ، مثل أسماء الناس تماماً ، لايغيرها تغير الطقس ولا المكان .

وكما أشرنا إليه فإن شهر رمضاننا هذا يفد على العالم الإسلامى أو كثير من بلاده فى الشرق الأوسط على الأقل فى مطالع الشتاء .. وبهذا صار ربيع المؤمن طال ليله فقامه .. وقصر نهاره فصامه .

---

(١) لسان العرب . (٢) الأيام والليالى والشهور .

رمضان فى الأدب العربى

— ١ —

كان للأدب العربى الذى هو ديوان العرب والإسلام ، وسجل أحوالهم ، ما كان له أن لا يشيد بشهر رمضان المبارك . ونحن فى هذه الكلمة نسوق لك بعض ما قيل من شعر ونثر قديماً فى هذا الشهر الميمون ، ثم نتبعه بنبذ مما قيل فيه فى الأدب الحديث .

ونبتدئ بأبيات للإمام ابن قيم الجوزية من قصيدته المشهورة المعروفة بالكافية الشافية ، فى الانتصار للأمة الناجية . قال :

ياخاطب الحور الحسان وطالب	لوصالهن بجنة الرضوان
لو كنت تدرى من خطبت ومن طلب	ت بذلت ما تحوى من الأثمان
أو كنت تعرف أين مسكنها جعلت	السعى منك لها على الأجفان
أسرع وحث السير جهدك إنما	مسراك هذا ساعة لزمان
فاعشق وحدث بالوصال النفس وابذل	مهرها ما دمت ذا إمكان
واجعل صيامك دون لقياها ويوم	الوصل يوم الفطر فى رمضان

وهذا أحد شعراء العرب يعلن فرحته الغامرة بقدوم هذا الشهر المبارك ، ويصف استمرار عبادة المسلم التقى البر فيه ليل نهار . فللنهار صومه ، ولليل تراويحه ، وفيهما معاً ترتيله للقرآن المجيد وتحميده لله وتسبيحه له . قال :

جاء الصيام فجاء الخير أجمعه	ترتيل ذكر وتحميد وتسبيح
فالنفس تدأب فى قول وفى عمل	صوم النهار وبالليل التراويح

وقال أحمد شوقى أمير الشعراء عن الصوم فى رمضان وحكمة مشروعية افتراضه على المسلمين :

(حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع ، لكل فريضة حكمة ، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة . يستثير الشفقة ، ويحض على الصدقة . يكسر الكبر ، ويعلم الصبر ، ويسن خلال الخير ، حتى إذا جاع من ألف الشبع ، وحرم المترف أسباب المتع ، عرف الحرمان كيف يقع ، والجوع كيف ألمه إذا لذع) .

وقال عباس محمود العقاد : (ميزة رمضان أنه فريضة اجتماعية ، مع فرضه على آحاد المكلفين ، فهو موعد معلوم من العام لترويض الجماعة على نظام واحد من المعيشة ، وعلى نمط واحد من تغيير العادات ، وليس أصلح لتربية الأمة من تعويدها هذه الأهبة للنظام ولتغيير العادات ، شهراً فى كل سنة تتلاقى فيه على سنن واحد فى الطعام واليقظة والرقاد ، وما يستتبع ذلك من أهبة الجماعة كلها لهذا الشهر خلال العام .

رمضان شهر الإرادة :

أدبه أدب الإرادة ، وحكمته حكمة الإرادة ، وليست الإرادة بالشىء اليسير فى الدين والخلق، فما الدين وما الخلق إلا تبعات وتكاليف . وعماد التبعات والتكاليف جميعاً أنها تناط بمريد .

ومن ملك الإرادة فزمام الخلق جميعاً فى يديه .

— ٢ —

وشهر كشهر رمضان ، فى مداه الإسلامى البعيد ، وفى سريانه وشموله الاجتماعى ، لابد أن يكون له ذكر فوّاح مستفيض فى الأدب العربى ، شعره ونثره ، لأن أدب العرب فى شعره ونثره ، هو ديوان العرب ، وترجمان حياتهم فى دين ودنيا .

ونحن هنا نريد أن نتحفك بطائفة من شعر ونثر ، قالها الشعراء والكتاب العرب المسلمون فى رمضان ، وصفاً ، وتحليلا ، وتهنئة وتقديراً .

للبحترى قصيدة سيارة مدح بها أمير المؤمنين العباسى المتوكل على الله، وقد أشاد فيها بصوم هذا الخليفة لشهر رمضان ، وخروجه فى يوم عيد الفطر على الناس ، وباستعراضه للجيش الإسلامى الرفيع العماد . قال البحترى :

الله مكن للخليفة جعفر ملكاً يحسنه الخليفة جعفر

ومضى يقول له كمدخل لطيف ولبق لما أعده له من تهنئة بالصوم :

عمت فواضلك البرية فالتقى فيها المقل على الغنى والمكثر

ويدلنا وصف البحترى لشمول إحسان الخليفة المتوكل فى شهر الصيام للمكثر والمقل ، على أن البحترى كان ذا ثقافة دينية واسعة .. فهذا الوصف للخليفة الهاشمى ، مقتبس من الوصف الذى وصف به النبى صلى الله عليه وسلم فى جوده فى شهر رمضان على المكثر والمقل والغنى والفقير ، حيث يكون صلى صلى الله عليه وسلم أجود فى هذا الشهر المبارك من الريح المرسلة التى تعم بأمطارها البرارى المجدبة والمخصبة معاً .

ويصل البحترى بعد ذلك البيت القصيد حيث يقول للخليفة جعفر المتوكل على الله :

بالبر صمت وأنت أفضل صائم ولا نية الله الرضية تفطر

ولما كانت هذه القصيدة الخالدة قيلت فى عيد الفطر فقد اتبع البحترى ما سلف بقوله :

فأنعم بيوم الفطر عيناً إنه يوم أغر من الزمان مشهر

وأتبع هذا بوصف استعراض الخليفة للجيش الإسلامى الباهر يومئذ :

أظهرت عزاً للملك فيه بجحفل لجب يحاط الدين فيه وينصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت عدداً يسير بها العديد الأكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدعى والبيض تلمع والأسنة تزهر
والشمس ماتعة توقد بالضحى طوراً ويطفؤها العجاج الأكدر
حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت تلك الدجى وانجاب ذاك العثير

ما أروع هذه الصور التى حشدها البحترى فى هذه الأبيات الزاهرة ، وأى عز ومجد للإسلام حواه هذا الوصف الرائع الممتع .

هذا وهناك تهنئات شعرية بصيام شهر رمضان وقدومه ، أذكر من بينها تهنئة العالم الأديب الموسوعى أبى العباس أحمد القلقشندى صاحب كتاب

« صبح الأعشى » التى هنأ فيها صديقه كاتب سر ملك مصر والشام بقدوم شهر الصيام ، وبصومه إياه فى سنة ٨١٦ هـ . قال :

أيا كاتب السر الشريف ومن به ... تميس نواحى مصريتها مع الشام
ومن جلت الجلى كتائب كتبه ... ومن ناب عن وقع السيوف بأقلام
تهن بهذا الصوم ، والعيد بعده ... ومن بعده بالعيد ، والعام فالعام
وترق رقى الشمس فى أوج سعدها ... وتبقى بقاء الدهر فى فيض إنعام

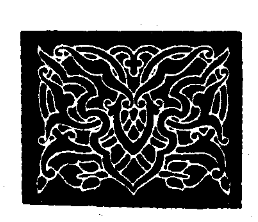
ذلك بعض فيض الشعر فى وصف الصوم والتهنئة بقدوم شهره الميمون .

أما النثر فقد وجه أبو الفرج الببغاء عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومى الشاعر المشهور والكاتب المترسل المتوفى سنة ٣٩٨ هـ ، رسالة تهنئة بشهر رمضان يقول فيها :

(جعل الله ما أظله من هذا الصيام ، مقروناً بأفضل قبول ، مؤدياً بإدراك البغية ، وأنجح المأمول . ووفقه فيه وفى سائر أيامه ، ومستأنف شهوره وأعوامه ، لأشرف الأعمال ، وأفضلها ، وأزكى الأفعال ، وأكملها. ولا أخلاه من بر مرفوع ، ودعاء مسموع ، وسعى مشكور ، وأمر مبرور ، إلى أن يقطع فى أجمل غبطة وأتم مسرة أمثاله) .

ولأبى الحسين بن سعد من قدماء الأدباء تهنئة نثرية بشهر رمضان هى :

(جمع الله لمولاى فى هذا الشهر الشريف ، شروط آماله وأحكام أماليه ، فى حاضر أمره وعاقبته ، وعاجل دنياه وآخرته ، وأبقاه لأمثاله بقاءاً لايتناهى أمده ، فى ظل عيش يرضاه ويحمده) .



رمضان قديماً فى هذه البلاد

كانت المملكة العربية السعودية ومازالت مثابة للحجاج إلى بيت الله الحرام ، ومسجد سيد الأنام ، ومثابة للرحالين من المسلمين ، وندر أن يرتحل إلى الحرمين غير المسلمين ، وكان نفر منهم دخلوها وهم مستخفون.

والعادة أن الرحالة المسلم إذا زار مكة والمدينة، فإنه ينتظر فى إحداهما إلى أن يحج . ومن أعلام الرحالين المسلمين الذين وفدوا إلى هذه البلاد فى القرون الخالية، الرحالة ابن جبير الأندلسى ، والرحالة ابن بطوطة المغربى ، وهناك رحالون قبلهم وبعدهم من المسلمين كثيرون . وقد دوّن لنا الرحالتان المذكوران مشاهداتها وملاحظاتهما عن هذه البلاد المقدسة . ويعنينا من ذلك الآن وصفهما لمظاهر الحفاوة البالغة والفرح العام بدخول شهر رمضان على ما شاهداه ودوناه خلال وصفهما لمشاهداتهما من العادات المتبعة إبان قدومهما فى ليالى رمضان الغراء بمكة المكرمة .

فهذا ابن جبير يصف لنا كيف كانت ليالى رمضان فى عهد قدومه إلى مكة فى أواخر القرن الهجرى السادس ، وصفاً دقيقاً شيقاً. لقد جددت حصر المسجد الحرام ، وأكثر الشمع فيه ، وأكثرت المشاعل فيه ، وغير ذلك من الآلات — وربما كانت صحة هذه الصيغة (اللألات) وهى نوع معين من المصابيح كان معروفاً إلى عهد غير بعيد ، وهكذا حتى تلألأ الحرم نوراً وسطع ضياءاً ، وتفرقت الأئمة لإقامة التراويح ، فرقاً ، فرقاً ، وجىء للمسجد الحرام ولإمام الكعبة بشمع كثير ، من أكبره شمعتان نصبتا أمام المحراب ، فيهما قنطار ، وقد حفت بهما شمع دونهما ، صغار وكبار .

وكان المؤذن الزمزمى يتولى التسحير فى الصومعة — أى المئذنة — التى فى الركن الشرقى من المسجد ، بسبب قربها من دار الأمير ، فيقوم فى وقت

السحور فيها داعياً مذكراً ، وقد نصب فى أعلى الصومعة — المئذنة — خشبة طويلة ، فى رأسها عمود كالذراع ، وفى طرفيه بكرتان صغيرتان ، يرفع عليهما قنديلان من الزجاج كبيران لايزالان يقدان مدة التسحير ، فإذا قرب تبين خيطى الفجر ووقع الإيذان بالقطع مرة بعد مرة ، حط المؤذن القنديلين من أعلى الخشبة ، وبدأ الأذان ، وثوّب المؤذنون ، أى رجعوا الأذان فى كل ناحية من المسجد وأسطحة مكة مرتفعة إذ ذاك ، وهى الآن كذلك أو أرفع ، فمن لم يسمع نداء التسحير ، من البعيدين فى المسكن عن المسجد يبصرون القنديلين يقدان فى أعلى الصومعة — المئذنة — بلهجة أهل المغرب . فإذا اختفيا عن أنظارهم علموا أن وقت السحور قد انقطع . ا هـ .

هكذا كان وصف ابن جبير المانع لليالى شهر رمضان فى مكة إبان رحلته وحجه إليها قبل ثمانية قرون خلت .

وجاء بعده بسبعة وأربعين ومائة عام — أى فى سنة ٧٢٥ هـ — الرحالة ابن بطوطة قادماً من طنجة بالمغرب الأقصى ، فوصف لنا مشاهداته من الحفاوة الرائعة بمقدم رمضان وبلياليه الحسان فى بلد الله الحرام . وبتأمل وصفه يلوح للمتأمل أنه دون وصف ابن جبير فى البلاغة ، وأنه قد أورد كثيراً من الصيغ والعبارات والوصف التى كتبها ابن جبير فى رحلته ، فهو إما مقلد له أو شبه مقلد ، وكل شىء من ذلك تقريباً ظل على ماكان عليه فى زمن ابن جبير ،ولم يطرأ فى أى شىء من مظاهر العبادة والفرح والاحتفال ، اللهم إلا بعض تعديلات طفيفة تتعلق بعدد صلوات التراويح نقصاً لا زيادة ، تتعلق بعضها ببعض الجزئيات فى العادات التى لابد من حصول التغير فيها بمضى نحو قرن ونصف القرن من الزمان بعد مقدم ابن جبير إلى مكة .

◘ ◘ ◘

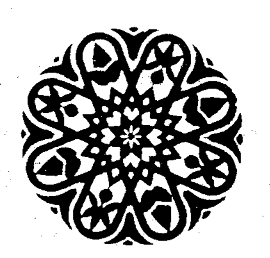
رمضان كما أدركناه

مما هو معلوم لدينا أنه بتتابع القرون وتجدد السكان ، تتغير ظروف الحياة ، فتحدث تغيرات طبيعية فى طبائع الأفراد والمجتمعات ، ويتناول هذا التغير المآكل والمشارب والملابس والمساكن ، وهكذا تتغير بعض ألوان الحياة ، كما تتغير المفاهيم . وقد عرفنا أن السلف الصالح منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده عصر خلفائه البررة الراشدين، كان كل اهتماماتهم منصبة فى شهر رمضان على التنافس الشريف فى أداء العبادة الخالصة لله تعالى ، الصافية من الشوائب ، وفى تلاوة القرآن المجيد ، بقلوب خاشعة ، وأعين دامعة ، وأصوات رقيقة ناصعة ، وبذكر الله وتسبيحه ودعائه بما فيه صلاح الدنيا والدين ، والسلامة من نار الجحيم ، والدخول مع النبيين والشهداء الصالحين جنات النعيم .. وماكانوا يعنون بشىء من المطاعم والمشارب ، يكفيهم ما تيسر من ذلك مهما كان ، ولو كان الأسودين . . وإذا سمت الأرواح ، زال عنها الشره إلى ألوان الطعام ، ونأت عن الاهتمام بها والتفت بما يقيم صلبها ..

والصيام جنة ، والصيام شُرع ليرتفع الإنسان عن مراتب الحيوان بقدر المستطاع .. بهذا جاء الإسلام ، وبهذا كان صيام السلف الصالح ، وكانوا فى لياليه يتوجهون للصلاة والعبادة إلى وقت السحور . وبتتابع الأجيال وتوالى القرون ، وتحول الأمور ، رأينا رمضان فى العهد العباسى وما بعده يستقبل بمظاهر الفرح والابتهاج فى المدن الكبيرة ، فتقام الولائم ، فى كل بيت فى كل ليلة ، وتنوع أنواع الأطعمة والأشربة المباحة .. وتضاء المساجد، وتزين بالأفرشة الفاخرة ، وبالشموع الغالية الأثمان ، الكبيرة الأحجام ، وتعمر الأسواق بمختلف البضائع ،وينكب الناس على الشراء، كما ينكب بعضهم على تعاطى ألعاب ومسليات يختارونها لتزجية الفراغ أو لملء الفراغ .. فإذا

أقبل السحور تسحروا ثم ناموا .. وربما مكثوا فى نومهم العميق حتى وقت متأخر من النهار .

وقد أدركنا وحتى الآن كيف كانت الأسواق ومازلت فى أصبحة رمضان شبه خالية، بسبب حاجة الناس إلى النوم فيها لطول السهر فى الليل ، وأدركنا كيف تبتدئ حرارة النشاط تسرى فى أوصالها كلما تقدم النهار من بعد صلاة الظهر حتى المغرب وحتى صلاة العشاء وإلى وقت السحور . وقد أدركنا كيف يموج المسجدان النبوى فى المدينة والحرام فى مكة بمئات من أولئك الذين يقومون الليل لصلاة التراويح ، وقبيل السحور ينفضون إلى منازلهم فيتسحرون ويصلى بعضهم صلاة الصبح فى وقتها ، وينام الآخرون عن ذلك ، وإذا أراد المسلمون اليوم أن يجددوا مجدهم وأن يضيفوا إليه مجداً طريفاً ، فعليهم باتباع خطوات السلف شبراً بشبر ، وبخاصة ما يتعلق بأمور عباداتهم التى فى ذروتها صيام شهر رمضان وقيامه .



من أسمار رمضان

فى مجلس سمر ، من أسمار رمضان ، ضم ثلة من ذوى الفكر الناضج ، والرأى السليم ، والقلم البارع ، أورد جليس لهم — بالمناسبة — إنه قدم إليه « سؤال » من مواطن ، عن أصل قبيلة « خزاعة » أهى قحطانية أم عدنانية ؟ وقال لهم : إنه لكى يجيب هذا السائل على سؤاله التاريخى ، جواباً علمياً شافياً ، رجع إلى المصادر التاريخية العربية القديمة ، فوجد بينها اختلافاً كبيراً ، واسع المدى فى أصل هذه القبيلة التى سبق لها فى الجاهلية أن تولت سدانة الكعبة حتى أجلاها قصى عن مكة ، وتولى هو وخلفاؤه من قريش أمر سدانة البيت العتيق وتنظيم شئون مكة ، فى قصة معروفة ..

طائفة من مؤرخينا القدامى جزمت جزماً باتاً ، بأن خزاعة تنتمى إلى عدنان ، وقدمت للقارئ عمود نسبها إلى عدنان على هذا الأساس . وطائفة منهم جعلت خزاعة قحطانية الأصل ، وقدمت سلسلة نسبها إلى قحطان على هذا الأساس ..

هى أقوال وأقوال مجردة من المستندات العلمية المثبتة لهذه النظرية أو تلك.

قال صاحبنا : وهكذا رجعت من رحلة بحثى عن أصل خزاعة بخفى حنين . بل إن الأمر ازداد لدى غموضاً ، وتسربت إلىّ الحيرة فى هذا الشأن من كل مكان كنت أخال أنه سيكون مثبتق الضوء والإنارة والتحقيق حيال السؤال المقدم .. وأخيراً أبديت للسائل أنى أرجح أن تكون خزاعة قحطانية الجذم ، وقدمت لذلك ما أمكننى من المرجحات الطفيفة الخفيفة فى الميزان ...

وأضاف صاحبنا قوله : وعلى هذا فمن رأيى حيال هذا الاضطراب الشائع فى نصوص تاريخنا القديم ، مما لا يمكن معه الجزم اليقينى بشىء علمى مؤكد ، فإنه ربما يحسن بنا أن نعالج هذا الوضع بأسلوب علمى حديث ، خاصة وقد

انفتحت أمامنا سبل البحث ؛ إن وجد لدينا علماء الآثار وولد علم الآثار ، رافداً ورائداً لعلم التاريخ ، وبلادنا مملوءة بالآثار ، فماذا علينا لو أدرنا دفة البحث عن الحقائق التاريخية المضطربة إلى استجلائها من طريق البحث الأثرى نظرياً وعملياً ، وتعزز هذا الاستجلاء بصحيح الأخبار ، ونقارن ونتأمل ونستنتج ، ونعرض نتائج ما توصلنا إليه على علماء الأرض المتوافرين . . وهذا الترتيب الأصيل الحفيل منوط تحقيقه بإنشائنا « مجمعاً عملياً أثرياً تاريخياً لغوياً » يجمع فى إطار عضويته من لهم سابقات بحوث ودراسات قيمة فى هذا الميدان ، وتهيئ لهم الدولة من وسائل « التفرغ » و « الإنتاج » ما يهيئ لهم وسائل النجاح المنشود فيما يعالجونه من بحوث تاريخية فى تقاريرهم ومؤلفاتهم ، أسوة بما تقوم به الدول والأمم الناهضة التى تعنى برفد مجدها الطريف بحوافز علمية محققة مصفاة من حقائق مجدها التليد . .

وأضاف صاحبنا المتحدث قوله : إن هذه فرصتنا الثمينة اليوم ، فلا يحسن بنا أن نضيعها ، ولا يجمل بنا أن نفوتها . . بل إن فى تضييعها وتفويتها خسارة علمية وأدبية فادحة . . بالنسبة لتطورنا الحاضر وبالنسبة لما ترجوه الأجيال المقبلة منا من إيجاد أسس سابقة . . وما يولد اليوم صغيراً وضئيلا يكبر غداً ويشتد ساعده ، ويعتدل قوامه وتضخم جذوعه ، وتسمق فروعه خصوصاً وإن ظاهرة الاستئثار العلمى والأدبى التى كانت طاغية من بعض الأقطار العربية على كثير من الأقطار العربية فتحرمها حتى من استثمار جهود أبنائها فى حقول العلم والأدب والمعرفة ، قد انطوى ظلها ، وانجاب ضبابها ، وخفت وقدة حدتها ، وهانت شدتها . . فعلينا الانطلاق فى أجواء العلم الرحبة بنفوس رحبة ، وأفكار واعية ، وهمم عالية ، إلى أهداف سنية ومرضية . .

* * *

وإلى هنا رأيتنى أتأمل ملامح وجوه الإخوة الحاضرين . . فإذا بها وقد ارتسمت على صفحاتها بوارق مشرقة من الأمل العريض المعبر عن المشاركة الإيجابية فى هذه الفكرة البناءة ، وحيال تحقيق هذا الحلم الكبير .

مختارات رمضانية

نثر :

- ماذا يعني شهر رمضان ؟ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
- خواطر حول رمضان — الأستاذ عبد العزيز الرفاعي
- الصوم ... وتربية الإرادة — الشيخ هاشم دفتر دار

شعر :

- إلى الله ... — الأمير عبد الله الفيصل
- رمضان — الشاعر الرائد حسين عرب
- رمضان — الشاعر الرائد محمد حسن فقي
- رمضان — الشاعر الرائد محمد بن علي السنوسي





سماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

أيها المسلمون :

إنكم فى شهر عظيم مبارك ، ألا وهو شهر رمضان . شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن . شهر العتق والغفران . شهر الصدقات والإحسان . شهر تفتح فيه أبواب الجنات ، وتضاعف فيه الحسنات ، وتقال فيه العثرات . شهر تجاب فيه الدعوات ، وترفع الدرجات ، وتغفر فيه السيئات . شهر يجود الله فيه سبحانه على عبادة بأنواع الكرامات ، ويبذل فيه لأوليائه العطايات . شهر جعل الله صيامه أحد أركان الإسلام ، فصامه المصطفى –صلى الله عليه وسلم – وأمر الناس بصيامه ، وأخبر عليه الصلاة والسلام أن من صامه إيماناً واحتساباً غفر الله له ماتقدم من ذنبه .

شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم ، فاستقبلوه رحمكم الله بالفرح والسرور والعزيمة الصادقة على صيامه وقيامه ، والمسابقة فيه إلى الخيرات ، والمبادرة فيه إلى التوبة النصوح من سائر الذنوب والسيئات ، والتناصح ، والتعاون على البر والتقوى ، والتواصى بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والدعوة إلى كل خير ، لتفوزوا بالكرامة والأجر العظيم .

وفى الصيام فوائد كثيرة ، وحكم عظيمة، منها : تطهير النفس وتهذيبها وتزكيتها من الأخلاق السيئة ، كالاشر والبطر والبخل ، وتعويدها الأخلاق الكريمة ، كالصبر والحلم والجود والكرم ، ومجاهدة النفس فيما يرضى الله ويقرب لديه .

ومن فوائد الصوم أنه يعرف العبد نفسه وحاجته وضعفه وفقره لربه ، ويذكره بعظيم نعم الله عليه ، ويذكره أيضاً بحاجة إخوانه الفقراء ، فيوجب

له ذلك شكر بالله سبحانه ، والاستعانة بنعمة على طاعته ، ومواساة إخوانه الفقراء والإحسان إليهم .

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذه الفوائد فى قوله عزوجل : (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) فأوضح سبحانه أنه كتب علينا الصيام لنتقيه سبحانه ، فدل ذلك على أن الصيام وسيلة للتقوى ، والتقوى هى طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر به ، وترك مانهى عنه ؛ عن إخلاص نية ومحبة ورغبة ورهبة ، وبذلك يتقى العبد عذاب الله . فالصيام شعبة عظيمة من شعب التقوى، وقربة إلى المولى عز وجل ووسيلة قوية إلى التقوى فى بقية شئون الدين والدنيا .

وقد أشار النبى – صلى الله عليه وسلم – إلى بعض فوائد الصوم فى قوله صلى الله عليه وسلم : (يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) فبين النبى صلى الله عليه وسلم أن الصوم وجاء للصائم ، ووسيلة لطهارته وعفافه ، وماذاك إلا لأن الشيطان يجرى من ابن ادم مجرى الدم ، والصوم يضيق تلك المجارى ويذكر بالله وعظمته ، فيضعف سلطان الشيطان ، ويقوى سلطان الإيمان ، وتكثر بسببه الطاعات من المؤمنين ، وتقل به المعاصى .

وفى الصوم فوائد كثيرة غير ماتقدم – تظهر للمتأمل من ذوى البصيرة ، منها : أنه يطهر البدن من الأخلاق الرديئة ، ويكسبه صحة وقوة . وقد اعترف الكثير من الأطباء ، وعالجوا به كثيراً من الأمراض . وقد ورد فى فضله وفريضته آيات وأحاديث كثيرة ، قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات) إلى أن قال عز وجل : (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) .

وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد

رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت) .
وأخرج الترمذى عن معاذ بن جبل (رضى الله عنه) قال: قلت: يارسول الله: أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار . فقال: (لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا) .

ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : (ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة ،والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) . ثم قال عليه الصلاة والسلام : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ فقلت : بلى يارسول الله . فقال : رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله . ثم قال صلى الله عليه وسلم : ألا أخبرك بملاك ذلك كله .. قلت : بلى يارسول الله . قال : كف عليك هذا . وأشار إلى لسانه . فقلت: يارسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به . فقال صلى الله عليه وسلم : ثكلتك أمك يامعاذ ، وهل يكب الناس فى النار على وجوهم ، أو قال على مناخرهم ، إلا حصائد ألسنتهم ؟

إن الصوم عمل صالح عظيم ، وثوابه جزيل ، ولا سيما صوم رمضان ، فإنه الصوم الذى فرضه الله على عباده ، وجعله من أسباب الفوز لديه ، وقد ثبت فى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (كل عمل ابن آدم له ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، يقول الله عزوجل : إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به ، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى ، للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) .

وفى الصحيح عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : (إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وسلسلت الشياطين) . وأخرج الترمذى وابن ماجه عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : (إذا

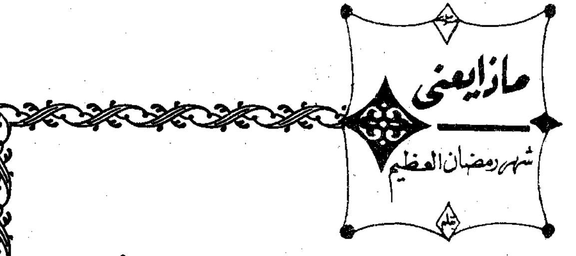
كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وينادى مناد ياباغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة) .

وجاء عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه كان يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان ويقول لهم : (جاء شهر رمضان بالبركات فمرحباً به من زائر وآت) . وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : (أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله) رواه الطبرانى .

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (إن الله فرض عليكم صيام رمضان وسننت لكم قيامه ، فمن صامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) رواه النسائى .

على المؤمن فى قيـام رمضان وفى غيره من الصلوات الطمأنينة فى القيام والقعود والركوع والسجود وترتيل التلاوة وعدم العجلة ، لأن روح الصلاة هو الإقبال عليها بالقلب الخشوع فيها وأداؤها كما شرع الله بإخلاص وصدق ورغبة ورهبة وحضور قلب ، كما قال الله سبحانه : (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : (وجعلت قرة عينى فى الصلاة) . وقال للذى أساء فى صلاته : إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر ، ثم اقرأ ماتيسر من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها) .

وكثير من الناس يصلى فى قيام رمضان صلاة لايعقلها ولا يطمئن فيها ، بل ينقرها نقراً ، وذلك لايجوز ، بل هو منكر لا تصح معه الصلاة ،



فالواجب الحذر من ذلك . وفى الحديث عنه — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : (أسوأ الناس سرقة الذى يسرق صلاته . قالوا : يارسول الله كيف يسرق صلاته ؟ قال : لايتم ركوعها ولا سجودها . وثبت عنه — صلى الله عليه وسلم — أنه أمر الذى نقر صلاته أن يعيدها .

فيا معشر المسلمين : عظموا الصلاة وأدوها كما شرع الله ، واغتنموا هذا الشهر العظيم وعظموه — رحمكم الله — بأنواع العبادة والقربات ، وسارعوا فيه إلى الطاعات ، فهو شهر عظيم جعله الله ميداناً لعباده ، يتسابقون إليه فيه بالطاعات ، ويتنافسون فى أنواع الخيرات ، فأكثروا فيه — رحمكم الله — من الصلاة والصدقات وقراءة القرآن الكريم والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والإحسان إلى الفقراء والمساكين والأيتام .

وقد كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أجود الناس ، وكان أجود مايكون فى رمضان ، فاهتدوا به — رحمكم الله — فى مضاعفة الجود والإحسان فى شهر رمضان ، وأعينوا إخوانكم الفقراء على الصيام والقيام ، واحتسبوا أجر ذلك عند الملك العلام ، واحفظوا صيامكم عما حرمه الله عليكم من الأوزار والآثام ، فقد صح عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : (من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (الصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ، فإن امرؤ سابه أحـــد فليقل إنى امرؤ صائم) . وجاء عنه — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : (ليس الصيام عن الطعام والشراب وإنما الصيام من اللغو والرفس) . وأخرج ابن حبان فى صحيحه عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغى له أن يتحفظ منه كفر ماقبله) . وقال جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه : إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء .

فينبغى للصائم الإكثار من تلاوة القرآن بتدبر وتعقل ، والإكثار من الصلوات والصدقات والذكر والاستغفار وسائر أنواع القربات فى الليل والنهار ، اغتناماً للزمان ، ورغبة فى مضاعفة الحسنات ، ومرضات فاطر الأرض والسموات . واحذروا — رحمكم الله — كل ما يجرح الصوم، وينقص الأجر ، ويغضب الرب عز وجل من سائر المعاصى ، كالتهاون بالصلاة، والبخل بالزكاة ، وأكل الربا ، وأكل أموال اليتامى ، وأنواع الظلم فى النفس والمال والعرض ، وعقوق الوالدين ، وقطيعة الرحم ، وشرب المسكرات والتدخين ، والغيبة والنميمة والكذب ، وشهادة الزور والدعاوى الباطلة ، والأيمان الكاذبة ، وحلق اللحى وتقصيرها وإطالة الشوارب ، والتكبر وإسبال الثياب ، واستماع الأغانى وآلات الملاهى ، وتبرج النساء وعدم تسترهن من الرجال، والتشبه بنساء الكفرة فى لبس الثياب القصيرة ، وغير ذلك مما نهى الله عنه ورسوله .

وهذه المعاصى التى ذكرنا محرمة فى كل زمان ومكان ، ولكنها فى رمضان أشد تحريماً وأعظم إثماً لفضل الزمان وحرمته ، ومن أقبح هذه المعاصى وأضرها على المسلمين ما أبلى به الكثير من الناس من التثاقل عن الصلوات ، والتهاون بأدائها فى الجماعة فى المسجد . ولاشك أن هذا من أقبح خصال أهل النفاق ، ومن أسباب الزيغ والهلاك . قال تعالى : (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : (من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر) . وقال له — صلى الله عليه وسلم — رجل أعمى : يارسول الله إنى بعيد الدار عن المسجد وليس لى قائد يلازمنى ، فهل لى من رخصة أن أصلى فى بيتى ؟ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: هل تسمع النداء للصلاة ؟ قال: نعم . قال: أجب.

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، وهو من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — : من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن ، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة فى الجماعة إلا منافق معلوم النفاق أو مريض ، ولاشك أن التهاون

بأداء الصلاة فى الجماعة من أسباب تركها بالكلية . وقد صح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : (العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر) . وقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة) .

ومن أخطر المعاصى اليوم أيضاً ما بلى به الكثير من الناس من استماع الأغانى وآلات الطرب ، وإعلان ذلك فى الأسواق وغيرها . ولا ريب أن هذا من أعظم الأسباب فى مرض القلوب وصدها عن ذكر الله وعن الصلاة وعن استماع القرآن الكريم والانتفاع به . ومن أعظم الأسباب أيضاً فى عقوبة صاحبه بمرض النفاق والضلال عن الهدى ، كما قال تعالى : (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً ، أولئك لهم عذاب مهين) . وقد فسر أهل العلم (لهو الحديث) بأنه الغناء وآلات اللهو وكل كلام يصد عن الحق ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : (ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف) . والحر : هو الفرج الحرام ، والحرير معروف ، والخمر : هو كل مسكر ؛ والمعازف : هى الغناء وآلات الملاهى ، كالعود والكمان وسائر آلات الطرب . والمعنى أنه يكون فى آخر الزمان قوم يستحلون الزنا ولباس الحرير وشرب المسكرات واستعمال آلات الملاهى . وقد وقع ذلك كله كما أخبر به النبى صلى الله عليه سلم . وهذا من علامات نبوته ودلائل رسالته عليه الصلاة والسلام . وقال عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ : إن الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، واحذروا مانهاكم الله عنه ورسوله ، واستقيموا على طاعته فى رمضان وغيره ، وتواصوا بذلك وتعاونوا عليه ، لتفوزوا بالكرامة والسعادة والعزة والنجاة فى الدنيا والآخرة . والله المسئول أن يحفظنا وسائر المسلمين من أسباب غضبه ، وأن يتقبل منا جميعاً صيامنا وقيامنا وأن يصلح ولاة أمر المسلمين ، وأن ينصر بهم دينه ويخذل بهم أعداءه ، وأن يوفق الجميع للفقه فى الدين والثبات عليه ، والحكم به والتحاكم إليه فى كل شىء إنه على كل شىء قدير ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

خواطر حول رمضان

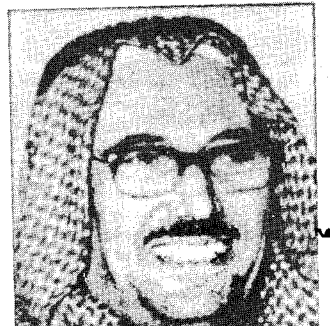
بقلم الأستاذ
عبد العزيز الرفاعى

هذه خواطر رمضانية مرسلة .. لايقيدها منهج ، ولاينظمها نظام ، ولكن تربطها الأحاسيس المختلفة حول هذا الشهر العظيم .

وهذا الشهر العظيم ،شأنه شأن أى شىء عظيم فى الدنيا .. له محبون .. وله كارهون .. وبين المحبين والمبغضين ، أناس اتخذوه عادة .. فلا أبدوا حباً ولا كرهاً .. ولكنهم ماشعروا به ولا بشخصيته كما ينبغى أن يشعر المحبون .

وكأى شخصية عظيمة فى الكون ، فإن فى رمضان صرامة وحزماً .. فهو جاد كل الجد ، فى بياض نهاره .. منذ الخيط الأول من الفجر ، حتى غياب الخيط الأخير من ضوء النهار .. فإذا انتهى وقت مهمته .. أو صرامته .. انفرجت أساريره ، وبش إلى أصحابه .. وأفرحهم بكل مالذ وطاب .. من طعام وشراب ..

وهو مع كرمه وسخائه ، لايحب الإسراف ولا التبذير .. ولا وضع الشىء فى غير موضعه .. يحب الدقة والنظام فى مواعيده .. ويريد منا أن نتعود عليهما .. وأن نعرف أن للمواعيد حرمات .. ولكل شىء من الأشياء ميقات .. ولكل أمر حدود .. وهو يريد أن يربطنا بالله تعالى منذ الفجر حتى الغروب .. ثم يريدنا أن نعود إلى الله عشاء .. فنتعبد له ذلك التعبد الفريد عن طريق التراويح .. وهى الصلاة النفلية الخاصة به .



والأخطاء التى يقع فيها بعض الناس ، أو معظمهم ، فى فهم رمضان ، لاينبغى أن تنعكس جريرتها على الشهر الكريم ..

فمن الناس من حول نهار رمضان إلى نوم .. وليله إلى سهر .. وربما جعل سهراته صاخبة ..

وهذا العمل ليس من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

فإن رمضان الإسلامى.. رمضان الخالص من الشوائب.. لم يكن كذلك .. فهو شهر معتدل ، ويعلمنا الاعتدال .. فلا حرج على الناس أن يصيبوا فى نهاره ، نصيباً من الراحة .. ولا حرج عليهم فى ليله ، أن يصيبوا شيئاً من الترويح بعد التراويح .. ولكن الحرج كل الحرج أن يساء فهمه ، فنمعن ، راحة ، أو نوغل ترويحاً .. ولكن مادخل الرفق أمراً إلا زانه ..

وكما كان رمضان المبارك موسماً للعبادة .. والصلاة .. فقد كان ومازال موسماً لأشياء كثيرة ..

فهو أيضاً موسم للأحداث التاريخية .. وليرجع من شاء إلى السيرة النبوية ليعلم أن الوحى إنما نزل بادىء ذى بدء فى رمضان ، وأن ليلة القدر فيه ، وأن النصر الكبير للمسلمين فى بدر ، إنما وقع فى رمضان ، وكان التمهيد الحقيقى للفتح العظيم ، فتح مكة ، الذى كان برمضان أيضاً ..

ورمضان موسم حفظ القرآن الكريم ، ومذاكرته ، واستذكار مايتصل بعلومه ..

بل هو أيضاً موسم العلم والتعلم والوعظ ، ونشاط حلقات المساجد ..

وقد يتخذ الشعراء والأدباء من السهرات الرمضانية موسماً لأشعارهم ومحاوراتهم ، وقد يكون رمضان ذاته محوراً للحديث أو الشعر .. وقد يصفون طعامه وكنائفه وقطائفه .. ومنهم من يعتدل أو من ينحرف .. أو يغلو ، ومنهم من يرضى على رمضان فيمتدحه ، ومنهم من قد يضيق به ذرعاً إن لم يذهب إلى أبعد من ذلك .. فيكون من الغاوين ..

وقد أفرد بعض المؤلفين لرمضان مؤلفات خاصة ، وإن كانت الحصيلة فى هذ الباب ليست كثيرة على حد علمى ، فجاءت مؤلفاتهم أنواعاً وألواناً ، فى الدين والوعظ ، أو فى وظائف الشهر ، أو فى طرائف الشعراء .. إلخ .

ولا أعرف ما إذا كان قد عنى أحد بوضع فهرسة عما ألف عن رمضان، وما دار حوله من موضوعات .. ؟

أما إذا كان الجواب بالنفى ، فحبذا لو عنى أحد الباحثين بذلك ، فإنه سيخرج بحصيلة جيدة .. ويسدى إلى العلم يدأ رمضانية جديدة .

ولرمضان فى الحرمين الشريفين طابع مميز .. ساعة الإفطار .. يكاد يشترك المصلون فيهما فى طعام واحد .. يتهادون الطعام أو يتبادلونه، ويتجلى العطف على الفقير بأجلى صوره ، وأجل معانيه .. ثم تكون صلاة التراويح متى حان حينها ، ولا نظير للتراويح فى الحرمين الشريفين .. !

وفى بعض البلاد العربية ، تشيع عادات وتقاليد ينفرد بها رمضان .. وربما أخذ بعضها فى التلاشى .. وذلك كالمسحراتى .. الذى ينقر على طبلته فى وقت السحور ليوقظ النيام ، ليتناولوا سحورهم ..

إن شخصية رمضان المميزة ، جديرة بأن يكون لها معجم رمضانى ، يأتى على كل مايتصل برمضان ، مبوباً على حروف الهجاء ..

مرحى لرمضان .. وكل رمضان وأنتم بخير .

عبد العزيز الرفاعى

الصوم ... وتربية الإرادة

... طرح المجلة جانباً ، والتفت إلىّ يقول :

— إنى أجد معارفى فى مطلع الشمس إشراقاً ، وأعمالى فى مغربها ظلاماً . وكنت أحسبنى وحدى فى هذا السلوك البغيض دون الرفاق ، فلما تتبعت سلوكهم عن كثب ما ألفيتهم أصلح حالا منى ، وكل امتيازى أنى ضقت بوهن إرادتى وأنهم لم يضيقوا ...

عرفت فلاناً من الناس لا يسمح لنفسه بالراحة حتى يحل ما يعترضها من عقد ، مستعيناً بأصدقائه ممن يعرف فيهم أصالة الرأى ، فهو لا ينفك يتعمق فى نفسه درساً ونظراً .

وعرفته عبقرياً يهوى الرشد ويجد فى طلبه بحزم ، لذلك قلت له :

خلاصك فى يديك ...

— : يا عجباً خلاصى فى يدىّ ولا أدرى . ! ! لا بد أن يكون لدى كثير من العلم والفكر .

— : لا . . . لا ، العلم والفكر كالنيرين يضيئان الطريق الجيدة والرديئة ، ولكنهما لايملكان السلطان الذى يقسرك على سلوك هذه الطريق دون تلك : وكثيرهما وقليلهما سواء .

— : إذن فالذى يملك ذلك الوجدان والضمير يقدر على السلوك .

— : لا يا صاحبى ، الوجدان كالمربى الضعيف الذى يملك أن يأمر بالخير وينهى عن الشر ، ولكنه لا يملك السلطة التنفيذية التى تجعل توجيهه عملياً . والضمير كالحارس النزق الذى يهمد لدى مباشرة الجناية ، فإذا انتهى الجانى من جنايته ثارت ثائرته عليه زجراً وتأنيباً . .



الشيخ هاشم دفتردار

— : ويحى أية قوى للشر هذه التى تكمن فى نفسى . ! !

— : لعلك لا تدرى مدى قوة الغرائز وعواصفها المدمرة وعاداتها المستحكمة ، هذه الغرائز هى التى تهيمن على أعمالنا ، وتطرحها وراء ما نعلم أنه خير لنا ، وأسلم عاقبة . .

أخذ فلاناً دهشة ، وقال كالمحتج :

— : الغرائز فطرية فى الإنسان والحيوان معاً ، فما بالها فى الحيوان لا تعصف بأمياله ، وتوجهها إلى هلاكه ؟ . .

— : لاتنس أن الغرائز فى الحيوان مقيدة بالوعى المبهم المرتبط بإدراك الجزئيات إدراكاً حسياً مقدراً بموازين المصلحة التى تقتضيها خصائص حياته المحددة بالزمان والمكان . . .

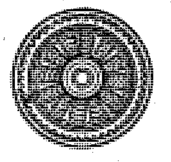
وأما الغرائز فى الإنسان فإنها مطلقة ، ولا يستطيع أن يقسرها على الأخذ بهذه الأفعال وإن كانت نافعة ، وهجر تلك وإن كانت ضارة ، وعيه الفكرى الصالح لشمول معرفته بكل الجزئيات والكليات النافعة والضارة وبعلاقتهما بالزمان والمكان والوجود والعدم ، وبنتائجهما ، فى الأفراد والجماعات . أى وعيه الفكرى مطلق ولا يقسر على الالتزام .

ومن هذا الإطلاق يجىء انحلال الأخلاق فى الإنسان ، وانحرافه عن الرشد حتى يصبح عبرة المعتبرين ، هذا لو صح أن الغرائز العارمة الهوجاء تجعل فى الدنيا معتبرين . . وما أكثر العبر ، وما أقل المعتبرين .

— : يا ليت شعرى ! ! ! كيف ينخدع الإنسان بغروره فيدفعه إلى امتطاء غرائزه الهوجاء العمياء النهمة على مزلق من جحيم ؟ كيف يركب الأرزاء غير مكترث بالعواقب المرعبة ولا معتبر بمن دمروا إمام عينيه ؟ . .

— لا تعجب لأن الكبت — أى الكف والاكتفاء المقدرين وفق مصلحة حياة الإنسان باعتباره فرداً فى جماعة مصالحها متشابكة — غير داخل ضمن مطالب غرائزه .

ويرجع انحلاله الخلقى فى العالم إلى فقد هذا الكبت الغريزى المصلحى ،



ومن هنا ندرك أن الإنسان لن يستقيم على هدى الإصلاح العام ما دام هذا الانحلال الخلقى مسيطراً على أعمال غرائزه . إلا أن يحاط به . . . ! !

ــ لماذا لا تقوم غريزة التدين مقام السلطة التنفيذية فى كبت الغرائز ما دام الإنسان يمتاز بها وبذلك تنحل عقدة السلوك الضار نفسياً .

ــ : نعم يمتاز الإنسان بغريزة التدين كما يمتاز بغريزة حب التملك .

وعنفوان غريزة التدين لا يظهر إلا لدى المخاوف والنوازل والأمراض المخيفة ، ولها زاويتها الخاصة فى أعماق المجموعة النفسية ، وهى لاتملك السلطة التنفيذية التى تكبت بها طغيان سواها من الغرائز . ولو كانت تملك ذلك لما رأينا أنساناً واحداً بلغ الرشد يقاوم الرشد مع علمه بخطر المسؤوليات . وربما يكون من وعاظها . .

ــ : لعل السلطةالتنفيذية تكون فى اتباع المثل العليا التى أوحاها الله لإسعاد الإنسانية جمعاء .

ــ : ويحك وهل يكون اتباع بدون سلطة تنفيذية ! !

ــ : يا لله ، فأين نجد السلطة التنفيذية التى تسيطر على مملكة النفس الإنسانية ! ! !

ــ : تجدها فى المملكة الإنسانية نفسها ، تجدها فى الإرادة القوية ومثل الوحى العليا ، ستظل أطيافاً فتانة تربط الألسنة بالكلمات الخيرية الندية ، وتشرق أقداسها فى مظاهر العبادات . أما اتجاهات الأعمال فإنها تبقى مشدودة بيد الغرائز الطاغية الهوجاء من وراء وراء . حتى تسيطر عليها سلطة الإرادة ، ومتى سيطرت فحينئذ تشاهد الإنسان الإنسان .

ــ : ما دام للإرادة كل هذا السلطان الخير النافع فلماذا لا تعنى الجماعات والأفراد بتربية الإرادة ؟ .

ــ : إنما يعنى بتربية الإرادة المريدون ، والمريدون فى الدنيا قلائل ، وهم الرسل والأنبياء وصادقو أتباعهم ، والمصلحون والحكماء . ويجوز أن تكون فى أنفس الناس جميعاً ، إذا هم عنوا بتربيتها . .

— : ما أعظم البشرى ! ! ! هل هذا ممكن ؟

— : أجل ممكن ، لأن الإرادة ككل كائنات مملكة النفس تشتد وتقوى بالتعهد والرعاية وتضمحل وتذوى بالاستهانة .

— يخيل إلى أن تربية الإرادة تقوم على عسر وإجهاد حتى تصبح قوية قادرة على كبت طغيان الغرائز والتضييق عليها والتحكم فى اتجاهاتها وقسرها على كل نافع وصرفها عن كل ضار . . . ولولا أنها تقوم على عسر وإجهاد لما أهملها أكثر الناس .

— لا عسر ولا إجهاد إذا أتينا الأمور من أبوابها ، وكم من حكمة فى المثل القائل « لايفل الحديد إلا الحديد » ، فتربية الإرادة إذا قصدت من طريق الغرائز أعطتنا السلطة القادرة على الكبت والتوجيه . فهذا وحى الله جاء لتربية الإرادة وتنميتها ورعايتها من طريق — الكبت الغريزى — الصوم .

ولا ريب أن الشخص الذى يدخل فى قدرته بالممارسة العملية أن يكبت بعض غرائزه فى بعض الوقت ،فإنه يصبح قادراً على أن يكبت كل غرائزه فى كل الوقت إذا اقتضت مصلحته ذلك .

ومن هنا يمكنك أن تدرك : أن الصوم الذى فرضه الله فى الأديان كافة هو المثل الأعلى فى تربية الإرادة ، كما يمكنك أن تدرك : أن انحلال الأخلاق لا يعود إلى قلة فى العلم أو جهل بالدين أو هن فى التفكير أو عدم تبصر بعواقب الأعمال الضارة،وإنما يعود إلى ضعف الإرادة إذا لم يكن إلى موتها . .والنتيجة إذا أردنا أن ننتخب لمملكة الغرائز رئيساً أعلى تتوفر فيه جميع أسباب القوة والحكمة والوعى ليسير بأهل هذه المملكة إلى الانسجام والسعادة والتعادل والحياة السامية الشريفةالقادرة ،فلن نجد سوى الإرادة المنشأة فى حجر الصوم.

بالصوم تحيا الإرادة وتقوى ، وعلى حياتها وقوتها يقوم سلطانها ويمتد نفوذها ، وبغير ذلك السلطان والنفوذ محال أن يملك الإنسان توجيه غرائزه إلى الإصلاح المنتظر . وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نصحه للشباب ، إلى أثر الصوم البليغ فى تربية الإرادة وإمدادها بالقوى التى تستطيع بها أن

تكبت الغرائز وتهيمن عليها لدى اهتياجها فقال : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

فالصوم كابت لغريزة الميل الجنسي ، وفى الكبت تربية للإرادة ومفهوم أن الصوم لا يكون كابتاً إلا بسلطة الإرادة التى ينميها لتقوى على الكبت.

ـ كنت أظن أن الصوم يورث ضعفاً فى الجسد لا صحة ، وضعف الجسد يتبعه ضعف غريزة الميل الجنسي .

ـ : لا .. لا ، إن المقصود من الصوم صحة جسد الإنسان ونفسه بما يقدمه لهما من الانسجام ، ولو كان المقصود إضعاف الجسد لما طلب إلى المريض أن يصوم عن أكثر الطعام حتى يشفى ، فإذا ما كان الصوم ضاراً لم يأمر به لا الطب ولا الدين « ومن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

وكم من علل قاتلة منشؤها الإكثار من تناول الطعام والشراب ، وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه » .

وإن حسم هاتيك العلل متوقف على الصوم ، وكذلك الوقاية من الوقوع فيه ، وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صوموا تصحوا ».

وعلى كل حال فالمقصود من الصوم : هو تنمية الإرادة ، وإعطاؤه السلطان القادر على كبت الغرائز . ومتى ملك الإنسان الإرادة بهذا المعنى ملك صحة جسده ونفسه .

فالصوم : إمساك إرادى عن تناول الطعام والشراب ، وسوى ذلك من المفطرات لتخفيف أخطار المخزونات من رواسب الطعام والشراب فى مجارى الدم ، ولتخفيف وزن الجسد ولضبط الميل الجنسي ، ويعتبر الإلمام به مفسداً للصوم ، وموجباً للمؤاخذة العنيفة « الكفارة الكبرى » الفارضة صوم شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً بدل اليوم الواحد من فريضة شهر الصوم الذى انحلت فيه الإرادة .

ومظهر انحلال الإرادة اعتبره الإمام الشافعي وأحمد فى الجماع ، واعتبره مالك وأبو حنيفة فى الجماع وفى الطعام والشراب ، وهذا خلاف كريم . كل المقصود منه تحقيق تربية الإرادة لأنها هى من غايات فريضة الصوم الأساسية .



إلى الله

للشاعر الرائد الأمير عبد الله الفيصل

إلٰهي يا ربّاً عَبَدْتُكَ طاعَةً ... وتَقْوَى وإيماناً بأنَّك تُعْبَدُ

إليكَ فؤادي خاشِعاً وجَوارحي ... إذا سِرْتُ أوْ وَقَفْتُ أوْ أتهَجَّدُ

وما دَمَعَتْ عينايَ إلا تَوَسُّلاً ... وشُكْراً لِنُعْمَاك التى لا تُحَدَّدُ

وُجودي . . وما يَحْوِي الوجودُ بِأَسْـ ... ـرِهِ رَذاذُ عَطَايَاك التى ليس تَنْفَدُ

وَهَبْتَ لنا الدنيا وذلَّلْتَها لَنا ... فَلانَ لنا صَخْرٌ وأَخْصَبَ فَدْفَدُ

وأطْلَقْتَنا شكلاً وعزماً ومنطِقاً ... على خيرِ ما نَهْوَى ونرضَى ونَنْشُدُ

ومَيَّزْتَنا بالعقلِ حتى نَرَى بِهِ ... صِراطاً قويماً حيث نَهْنَا ونَسْعَدُ

وقُلْتَ لنا : سِيروا عليه فضَلَّلَتْ ... بَصَائِرَنا الأهْوَاءُ للعقل تُفْسِدُ

وهِمْنَا على دربِ الغوايات حُوَّماً ... فَمَا قَصُرَتْ بَاعٌ ولا أحْجَمَتْ يَدُ

ظَمِئْنَا ولم تُشْبِعْ ظِمَانَا جَهَالَةٌ ... وتِهْنَا عن العقلِ الذى فيه نَرْشُدُ

وَهَامَتْ رُؤانا فى متاهاتِ غَيِّنَا ... كأنَّ لنا يوماً وليس لنا غَدُ

فمِنَّا أُناسٌ قد عَصَوْكَ جهالةً ... ومِنَّا مَنِ استَهْوَى خُطَاهُمْ تَمَرُّدُ

وقد هَجَرَ الإيمانَ بَعْضُ أَضَلِّهُمْ ... زَبَانِيَةُ الشيطانِ عَمْداً فألْحَدُوا

ولولا نفوسٌ منهمو قد تَمَسَّكَتْ ... بِهَدْيِكَ تستجدي رِضاكَ وتَعْبُدُ

تُسَبِّحُ بِاسْمِ اللهِ فى الصُبْحِ والمسَا وَنخوك يعلو حِسُّها حين تسْجد
لَمَا ظَلَّ فى الدنيا من الخيرِ بارقٌ ولا طابَ لِلأَخْيَارِ فى العيش مَوْرِدُ

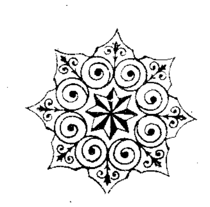
* * *

إلٰهِيَ ما يوماً عَصَيْتُكَ مرةً وكنتُ بِعِصْيَاني إلى العَمْدِ أقْصِدُ
وَمَا شَدَّنِي للذنبِ شِرْكٌ بمبدعٍ يَخِرُّ له نجمٌ ويسجدُ فرقدُ
وما كنتُ مغروراً بعزمِي وقوتي ولا غرَّنِي جَاهٌ ومالٌ وسُؤْدَدُ
ولكنه ضعفِي أمامَ غرائزي وَبَهْرَجُ دُنْيَا خَالِبٌ وَمُسَهَّدُ
فما أنا إلا واحدٌ من بني الوري نعيشُ ظِمَاءً والأمانيُّ شُرَّدُ
إلى أن نري فى الشيبِ بَدْءَ نهايةٍ لِمَا كَانَ يُغْوِي عَقْلَنَا وَيُبَدِّدُ
فنلجأُ للباري نفوساً هَلُوعَةً وَنطْرُقُ مَنْ أبوابه ليس تُوصَدُ

* * *

إلٰهِي بعد الذنبِ جِئْتُك راجياً حَنَانَكَ يَا مَنْ تُسْتَعَانُ وَتُقْصَدُ
وأسألك الغفران رِفْقاً بأضلُعٍ من الخوفِ نارُ الذُّعرِ فيها تَوَقَّدُ
دَعَوْتُكَ يا ربي لِتَغْفِرَ زَلَّتِي وَمَا أَكْثَرَ الزَّلَاتِ حِينَ تُعَدَّدُ
فَما أنا معصومٌ ولا أنا قاصِدٌ تحَدِّيكَ يَا مَنْ طَوْعُه الأَمسُ والغَدُ
ذُنُوبِي وَإِنْ كانتْ كِثاراً فأدمُعي على تَوْبَتِي عنها تنِمُّ وَتَشْهَدُ

* * *



رمضان

بُشْرَى الْعَوَالِمِ ، أَنْتَ يارَمَضَانُ	هَتَفَتْ بِكَ الأَرجاءُ والأَكْــوانُ

والشِّعْرُ والأَفْكَارُ ، وهي عَتِيَّــة	يَنْتَابُها لِجَلالِكَ ، الإِذْعَــانُ

لَكَ فى السَّمَاءِ كَوَاكِبٌ وَضَّــاءَةٌ	ولَكَ النُّفُوسُ المؤمِنَات مَكَانُ

* * *

الشَّرْقُ ، يَرْقُبُ فى هِلَالِكِ طَالِعاً	يَعْنُو لَدَيْهِ ، الكُفْرُ والطُّغْيَانُ

وبِكَ استَهَامَ فُؤَادُ كلُّ مُوَحّــدٍ	يَسْمُو بِهِ الإِخــلاصُ والإِيمانُ

سَعِدَتْ بلقياكَ الْحَياةُ ،وأَشْرَقَتْ	وانهل مِنْكَ ، جمالُها الْفَتَّانُ

وتَعَلَّمَتْ عنك الحصانةَ والحِجَى	فانجابَ عنها ، الْهَمّ والخُذْلانُ

وتَذَكَّرَتْ فيكَ العروبةُ ، مَجْدَهَا	هل مَجْدَها ، إلاَّ الذّمار يُصَانُ

* * *

يابَاعِثَ الآمالِ ، تخفق ثــورة	بالخير ، ليس يَشُوبُهَا بُهْتَانُ

ومُحَرِّر الأَخلاق ، من قَيْدِ الْهَوَى	إنْ عَمَّهَا ، من زَيْغِه طُوفَانُ

بُشْرَاك ، تفْتر الثغور ، لِوَقْعِهـا	جذلاً ، ويخْفِقُ خاطِرٌ وجنَانُ

والبشريات صَدَى النَّعِيمِ الْمُرْتَجَى	نَصَّتْ بِهِ الآيات والأَدْيَــانُ

ما إنْ تمـرّدَ عن نِظَامِكَ معشــرٌ	إلاَّ وحــقّ عليــهم الْخُسْرانُ

* * *

العبقريةُ فِيكَ ، جَلْجَلَ صَوْتُهـا لمـا تنزل بالْهُـدَى ، الْقرآنُ

الدِّينُ عنها والحياةُ ، تفـرداً مجداً ، وفاض بنُـورها الوجْدَانُ

وتَهَلَّلَ الحقُّ الصّراح ، بنَفْحَةٍ عُلْوِيَّةٍ ، فيها هُدًى وبَيَـانُ

* * *

يا مشعلاً قَبْسَ الحقيقةِ ، بَعْدَ أنْ أعْيَتْ عن اسْتِقْصَائِهَا ، الأَذْهَانُ

ومُبَدِّداً حُلكَ الضَّلالَةِ ، حينما عَمَّ الدُّنا ، من زَيْفِهَا ، فَيَضَانُ

كانَتْ كما زَعَمَ الْغُوَاةُ (حضَارة) يختالُ فيها الفُرْسُ والرُّومَـانُ

ذلَّتْ وذَلَّ على الْمَدَى عبـادُهـا فى الغَابِرينَ ، وشَاه منها الشانُ

ولقد طَلَعَتْ بشَمْسِهَا ، مَدَنِيَّـةٌ قُدْسِيَّةٌ ، تَعْنُو لَهَا الأَخـدانُ

شيّدت على الحقِّ القَوِيم ، فشيِّدت مجداً ، يسيرُ بذِكرِه الرُّكْبَانُ

* * *

أَشرِقْ بِنُورِكَ فى الرُّبُوع ، وكُنْ لَهَا أمَلاً ، يَزُول بِلَمْحِه العُنْوانُ

واذْكُرْ (فلسطين)الذَّبِيحَةَ ، أرْضَها مجلى الرَّدَى ، وسماؤها نِيرانُ

فَجَرَ اليهود بها ، وزادَ فُجُورُهم مُسْتَعْمِر ، بعهُـودِه خَـوَّانُ

دارَتْ عليها الدائرات فأَصْبَحَتْ يَنْسَاب فيها ، الْبُؤس والأَحزانُ

شَيْخٌ تَخَضَّبَ بالدماء ، ومُصْلِحٌ يُنْفَى ، وحام ٍ للذّمار يُهَـانُ

وفَتًى تَعَذَّبَ فى السُّجُون ، وغادة تُسْبَى ، وطِفْلٌ دَمْعَـهُ تَهْتَانُ

تِلك الحضارةُ تَنْجَلِي أَسـرارُهـا عنهم ، فلا كانَتْ ولا هُم كانوا

تدمى العيون لهـا ، ويرتاعُ النهى مِنْ هَوْلها ، وتصـدع الآذانُ

* * *

الشاعر الرائد حسين عرب

رمضان

رَمَضانُ . . فى قَلْبِى هَماهِمُ نشْوَةٍ — من قبْل رُؤْيَةِ وجْهِكَ الوضَّاءِ !

وعلى فَمِى طَعْمٌ أحِسُّ بـأنَّـهُ — من طَعْمِ تلك الجَنَّـةِ الخَضْراءِ !

لا طَعْمَ دُنيانا . فليس بوُسْعِهـا — تقْديمُ هـذا الطَّعْمِ للخُلَفـاءِ !

ما ذُقْتُ قـطُّ . ولا شَعُرْتُ بمِثْلِهِ — أفَـلا أكونُ بـه من السُّعَداءِ !

• • •

قـالوا بأنَّكَ قـادمٌ ، فتهـلَّلَتْ — بالبِشْرِ أوْجُهُنا . . وبالخُيَلاءِ !

وتطلَّعَتْ نحـو السَّماءِ نـواظـرٌ — لهـلالِ شهْـرِ نَضـارَةٍ ورُواءِ !

تَهْفو إليه ، وفى القلوبِ وفى النُّهى — شـوقٌ لمقْـدَمِهِ ، وحُسْنُ رَجاءِ !

لِمَ لانتيهُ مع الهُيامِ . . ونَزْدَهى — بجلالِ أيَّامٍ . . ووَحْيِ سَماءٍ ؟ !

بِهما نحلِّقُ فى الغَمامِ . ونَـرْتَوى — من عَذْبِهِ . . ونَصُولُ فى الأجْواءِ !

ونَشِـفُّ أرْواحاً فَنَنْهَجُ منهَجاً — نُفضِى بـه لمَرابعِ الجَوْزاءِ !

ونصِحُّ أجْساداً . فلا نشكُو الوَنى — أبـداً . ولا نشكو من الأدْواءِ !

فنعـودُ كالأسْلافِ أكْرَمَ أمَّةٍ — وأعَـزَّ فى السَّـرَّاءِ والضَّـرَّاءِ !

• • •

رَمَضانُ . . ما أدْرى ونُـورُكَ غامرٌ — قَلْبِى . فصُبْحى مُشْرِقٌ . ومَسائى !

أأنـالُ بعـد مَثالِبِي ومسـاوِئى — بـك مِنْهُما . بعد القُنوطِ . شِفائى !

نَفسى تُحَـدِّثُنى بأَنَّكَ شـافعٌ عنـد المُهَيْمنِ لى من الأَسْواء !
وبأَنَّنى سأَنالُ منـك حِمايَتى ووقايتى من مُعْضِل الأَرْزاء !
ما أنتَ إلاَّ رَحْمَـةٌ ومحبَّـةٌ للنـاس من ظُلْمٍ قسًا . . وعَداء !
فلقد كَرُمْتَ من السَّماء بما أتى من وَحْيِها . . وشَرُفْتَ بالإطْراء !
سُدْتَ الشُّهـورَ فأنتَ سَيِّدُ عامِها بل أَنْتَ سيِّدُ دَهْرها المُتَنائى !
مَهْما أقـولُ . فلن تَطُولَ مقالتى شُمَّ الـذُّرى . ولوامعَ الأَسْماء !

* * *

رمضانُ . من بعد الكُلُورَةِ مسَّنى منـك الجـلالُ بحكمةٍ ونَقاء !
قد كنتُ أَسْدُرُ فى الضَّلال وأرْتَمى فى حُضنِهِ بتبـذُّل وغَبـاء !
حتَّى لقيتُكَ فارْعَويتُ عن الخَنى وكرهْتُ كلَّ ضَـلالةٍ وعَماء !
شتَّانَ مابين الخَـلاعةِ والتُّـقى أوْ بين عَقْـل نابهٍ وخَـواء !

* * *

رَمضانُ جئْتَ وقومُنا فى مِحْنَـةٍ والدِّينُ . . جازتْ حدَّها . . نكراء
زَعماؤنا — إلاَّ القليلَ — تورَّطُوا فيها . فشِقْوَتُنا من الزُّعَماء !
صَبَغوا الصَّوارمَ من دِماء شُعُوبهمْ فى الأَرضِ . والأَجْواء . والدَّأْماء !
تـلك الدِّماءُ زكيَّـةً — يالَيْتَهـا سـالتْ لأَجـل كرامةٍ وجَلاء !
وتنـكَّروا للدِّين . فهو خُرافَـةٌ فى زَعْمِـهمْ جـازتْ على الآباء !
واسْتَبْـدلـوا قوميَّـةً عربيَّـةً بعقيـدةٍ أفَّـاكةٍ حَمْـراء !
حتى غَـدَوْنـا فى صَميم بلادِنـا شُـذَّاذَ آفـاقٍ من الغُرَبـاء !
إنَّ الزَّعامَـةَ حين تخضعُ رغبةً فى الحُكْم . . تصبحُ لَعْنَةَ الشُّرَفاء
كَلاًّ . فلا بالدِّين يعصفُ كَيْدَهمْ أبداً . ولا العَربيَّةِ العَرْباء !
الدِّينُ صَرْحٌ شـامخٌ متوسِّـدٌ كَنَفَ الجبالِ . وهامةَ الصَّحراء !
لن يستكينَ لعُصْبَةٍ مَوْتُـورَةٍ مَخْلُوعَةٍ بسَرابها . لا الماء !

بل سوفَ يعصفُ بالهُراءِ ورَهْطِهِ عَصْفَ القَوِىِّ بِزُمْرَةِ الضُّعَفاء !

ولسوفَ يغضَبُ غَضْبةً مُضَرِيَّةً دَمُنا . ويرفضُ رأيَهُمْ بإباء !

ويُبيدُ كلَّ زعامةٍ مكذُوبةٍ ويزيلُ كُلَّ عقيدةٍ شَوهاءِ !

ظنُّوهُ ماءً لا يثورُ لِذِلَّةٍ أَوْ فِريةٍ . وجموعُهُ كالشَّاء !

وَيْلُ الطُّغاةِ من الكرامةِ والحِجا فهُما - إذا امْتُهِنا - رَدَى الأَجْرَاء !

* * *

رَمضانُ . هذى مكَّةٌ وبِطاحُها تَشْدُو بذِكْرى طَيْبَةٍ وقُباء !

فتُصيخ للتَّطريب منه وتَنْتَشِى نَجْدٌ بغير تواجُدٍ وبُكاء !

بلْ بالسُّيوفِ تجيشُ فى أغْمادِها شوقاً تعيدُ به فَخارَ حِراء !

تَسْطُو بآساد الحِمى وفُهودِهِ وتعودُ تَسْطو بَعْدَهم بظِباء !

مافى الحِمى إلاَّ الأَسِنَّةُ والقَنا للخارجين على سَبيل سَواء !

النَّابحين بكلِّ نهجٍ لاحبٍ ليعُودَ نَهج تفرُّق وجَفاء !

يا هؤلاءِ لنا مناهجُ جَمَّةٌ تُفْضِى لكلِّ تقارُبٍ وإخاء !

ويُضيؤُها الإسلامُ خيرَ مَنارةٍ للناسِ ما دَرَجُوا على الغَبْراء !

* * *

أأخا العُرُوبةِ إنَّ دينَ مُحَمَّدٍ بالعُرْبِ قامَ بهمَّةٍ ومَضاء !

أهْوى بكِسْرىَ .. وَاسْتهان بِقَيْصَرٍ واجْتاحَ كُلَّ عِبادةٍ عَمْياء !

لم يَسْتَبِدَّ على الشُّعُوبِ ولم يَجُرْ فهَفَتْ لـه بسماحَةٍ ورضاء !

لِمَ لا ؟ ! وقد خرجَتْ به وَبآلِهِ لرَخائها من شدَّةٍ وعَناء !؟

لِمَ لا ؟ ! وقدخرجَتْ ببَرْدِ نَسيمهِ وجِنانِهِ من وَقْدَةِ الرَّمْضاء ! ؟

لِمَ لا ؟ ! وقدراحتْ تَجُوبُ طريقَها فى النُّور ناجيةً من الظَّلْماء ؟ !

ما ثَمَّ فى الإسْلامِ من مُتَجَبِّرٍ أَوْ ثَمَّ فى الإسْلامِ من إيذاء !

شَهِدَ الَّذين تَفَيَّأوا بظِلالِهِ أنَّ الحياةَ كَرامةُ الأَحْياء !

* * *

رَمَضانُ . . إنَّ بهَيْكلى وبنُهْيَتى ... ومَشاعِرى كوْماً من الأَقْـذاء !
إنِّى أنوءُ بـكاهلى من عِبْئِـهِ ... ويَظَلُّ صُبْحِى عانياً ـ ومَسائى !
أفلا يُخَفِّفُ منـه أنَّ سَريرَتى ... بَرِئَتْ من التَّضْليل والإغْواء !
وتَمَيَّزَتْ بصَفائها وتَـدثَّرتْ ... بردَائها . . بتَجَمُّلٍ وحَيـاء !
ما اعْتامَها حِقْدٌ ولا حَسَدَتْ على ... مَوْفُـورِ أمْجادٍ . . وفَرْطِ ثَراء !
هى ما تَزَالُ على امْتِدادِ سِنينِها ... طِفْلاً برغمِ الشَّيْبِ والإعْياء !
رَكِبَتْ مُتُونَ كبائرٍ أهْوتْ بهـا ... للقَاعِ .. قاعِ الإثمِ والأَخْطاء !
فإذا المَصِيرُ مصيرُ كلِّ مُغامر ... يَطْوِى جَوانِحَـه على البُرَحاء !
رمضـانُ أسعِـدْنا فإن سحائباً ... سُوداً تحطُّ بأَرضنـا السَّوداء !
مافى مَدائنها . . ولا وُدْيانِهـا ... ـ وهُداكَ ـ غيرُ مظاهرٍ وطِلاء !
أوْ غيرُ هذا الذئبِ يَفْتِكُ جَهْرةً ... وتربُّصاً بالمَـاعِزِ العَجْفـاء !
أو غـيرُ ربٍّ ضَـراوةٍ وتنَمُّـرٍ ... أو رَبِّ مـكْرٍ قـاتلٍ ورياء !

* * *

حاوَلْتُ غيرَ مُوَفَّـقٍ أن لا أرى ... خِزياً يشينُ . فما الْتفَتُّ ورَائى !
فـرأيتُ قُدَّامى مخازِىَ جَمَّـةً ... فتجمَّلتْ عَيْنـاىَ بالإغْضاء !
فسمعْتُ هَمْهَمةً تقـولُ بأنَّنى ... أنا لسْتُ غيرَ صدًى من الأَصْداء !
وتقولُ أُخرى فى عَداءٍ واضـحٍ ... كلاَّ . فما هو غيرُ ذئبٍ خَلاء !
صَدَقَا . فليس كِلاهُما مُتَجَنِّياً ... عندى . فكيف أضيقُ بالأَرْزاء !
الذئبُ مفترسٌ لسَـدِّ مَجاعـةٍ ... وأنا افْترسْتُ لطاعَةِ الحَوْباء !
شتَّانَ بين دَمٍ يُراقُ بِحَقِّـهِ ... ودَمٍ يُراق لشَهْوةٍ عَشْـواء !
فيـه الغِذاءُ لـه فلم يَكُ ظالماً ... فى سَفْكِهِ .. وعَلَوْتُ فيه غِذائى !

* * *

رَمَضانُ . لسْتُ بحائدٍ وغـرتى ... فيها أرقْتُ على التُّراب ذَمائى !

إلاّ إذا استَلْهَمْتُ منــك مَواعظاً تَرْوى صَداىَ وتَخْتَنِق بنــدائى !
أنا بَلْقَعٌ قَفْرٌ يحــنُّ لــرَشَّــةٍ من غَيْدَقٍ فى جَوِّهِ مِعْــطاء !
فإذا ارْتَوَيْتُ فإنَّنى مُتَــطلِّــعٌ فى تُرْبَتِى للزَّهْــرَةِ الغَيْــداء !
إنى لأَلْتَمِسُ الهُــدى لعَشــيرتى فى كلِّ صَرْحٍ ســامِقٍ .. وخِباء !
ولمَرْبَعى الغصّــانِ من نَزَواتِــهِ ولكلِّ فقرٍ مُدْقِــعٍ .. وغَناء !
أنّى الْتَفَتُّ رأَيتُ فى جَنَبــاتهــا مالا تُسَــرُّ به عيــونُ الرّائى !
ورأيتُ غانيــةً تــداعــبُ ماجناً قد جُنَّ بالسَّــمراء والشَّقْراء !
فأَغُضُّ من طرْفى .. فلَسْتُ بسالمٍ من مِثْل هذا الطَّيْشِ والإغْرَاء !
هذى الغَرائزُ لا تطيعُ بصــائراً عَرَفتْ بــواطنَ حِلْيَةٍ وفِراء !
عَرَفتْ بأَنَّ الحُسْنَ يقتلُ تــارةً ويُضِلُّ أُخرى فى هَوى الحَسْناء !
فتَجنَّبَتْهُ فَلَمْ تَقَعْ فى حُفْــرةٍ تَطْــوى الرّدى بالغَمْزِ والإيماء !
إنَّ الذينَ تَقلَّبُوا فى جَمْــرِهِ عَرَفُوا نَعيمَ البُــؤسِ واللَّأْواء !
أرأيتَ أطرافَ البَنــانِ تَخضَّبَتْ بدَمٍ . وليسَ بحُمْرَةِ الحِنّاء !
أرأيتَ أَلحاظَ الحِســانِ تلَهَّبَتْ وتَحفَّزَتْ لِلْفَــرْضِ والإمْلاء !
إنى رأيتُهما فَقُلْتُ لخَــافِقى كيفَ النَّجاءُ .. ولاتَ حينَ نَجاء؟

* * *

رمضانُ . إن البائسينَ تطلَّعُــوا أَمَــلاً إليكَ .. فجُدْ على البُؤَساء !
بالخَيْرِ تَشْمَلُهم به وببَسْمَــةٍ يَشْتَاقُهــا العــانُونَ للتَّــأْساء !
منْ ذا أَحَقُّ بذاكَ منْكَ وأنتَ فى عالِى الذُّرى مُتَربِّــعٌ ببَهَاء !
اللهُ مَنَّ فــكُنتَ مِنْ آلائــهِ فاشْكره - بالنُّعْمَى - على الآلاء !
فإذا نظَرْتَ من المَشارِفِ للْوَرى فرأيتَ ثَمَّ اللَّهْوَ فى الأَبْهاء !
ورأيتَ ثَمَّ خَلاعةً . . وضَراوةً فــاضْرَعْ إلى مَوْلاكَ فى العَلْيــاء !
اضْرَعْ إليــه لعَــلَّهُ من فَضْــلِهِ يَهْدِى ويشْفِى من عُضال الدّاء !

فلقدْ حظيت بصوم ِ يوم ٍ قانتٍ — وعبادةٍ فى ليلةٍ غـرَّاء .. !

* * *

رَمضانُ .. أيَبَس مُورقاتِ غُصونِنا — قبلَ الجفافِ . . تَزَعُّمُ السُّفَهاء !
أيَّانَ سِرْتَ تَرَ المَواكِبَ جَهْـرَةً — تَدْعُـو إلى مُسْتَنْكَرِ الآراء !
لم تُجْـدِ فيهم حِـكْمَةٌ وَوداعَةٌ — بالهَمْسِ .. أو بصَراحَةِ الصُّرَحاء !
فإذَا اسْتَحى أو خافَ منهم خائفٌ — من سُوءِ دَعْوتِهِ . . دَعا بخَفاء !
سَخِرُوا بكلِّ مُسالِمٍ .. وتهَكَّمُوا — جَهْلاً ومَوْجَـدةً على الخُلَصاء !
الفَرْدُ يَعْصِفُ بالجَماعةِ ضارباً — صَفْحاً عن التَّشْريعِ والإِفْتاء !
فإذا نصَحْتَ له تَنَفَّجَ وانْتَضى — سيْفاً يسيلُ دَماً على النُّصحاء !
لو لم يكُنْ نَذْلاً لَما حسبَ العُـلا — وقْفاً ولا إرْثاً من الآبــاء !
مَهْلاً . . فرُبَّ جريمَةٍ لم تَنْتَقِمْ — من ربِّها انْتَقَمَتْ من الأَبْناء !
ولرُبَّما عَجِلَتْ فـراحَ بطَعْنَـةٍ — ممَّنْ أسالَ دماءَهُمْ . . نَجْلاء !
كم أرْعَنٍ أوْحَتْ له نَزَغاتُـهُ — بالموبِقاتِ . . فلَجَّ فى الإِفْناء !
رِيعَتْ به الدُّنيا وزُلزِلَ سَمْعُهـا — وضَميرُها . . من أسْوإِ الأَنباء !
لكنَّهُ اسْتَخْذى وقد لاحَـتْ لـه — نُذُرُ الصَّوارِمِ أيَّما اسْتِخْذاء !
سُحْقاً لطاغيةٍ إذا نزلَتْ بِـهِ — أقْـدارُهُ . . أمْسى من الجُبَناء !
يَبْكى الذى سَفَكَ الدِّماء بَريئـةً — تَعْساً لـه من سافِكٍ بَـكَّاء !
من سامنا خَسْفاً ولاقى مَصْرَعاً — لم يَلْـقَ غيرَ شماتَةٍ وهِجاء !

* * *

رمضانُ أثْقَلْنـا عليكَ . ولم نَكُنْ — يوماً على أحَـدٍ من الثُّقَلاء !
عَفواً . فإنَّ نُفُوسَنا فى نَشْـوَةٍ — تَسْرِى من الأَعْضـاء للأَعْضاء !
من بعدِ ما اصْطَبَرت على لأْوائها — رَقَصتْ . وقـد وافَيْتَ من لأْلاء !
مَخْبورةً بِشَوابِها . . مَغْمُـورةً — بعطائها . . مَسْرُورةً بلِقـاء !

لا زلـتَ فينا قـادماً ومُوَدِّعاً تُسْدى . فَنُثْنِى نحنُ خيرَ ثناء !

* * *

ياذا الجلالِ . وأنتَ خيرُ مُؤَمَّلٍ للخاطئينَ . . وأنتَ خيرُ وِقاء !
أوغَلْتُ فى سُبُلِ الهوى .فإذا الهَوى يُمْسِى وطائى المشْتَهَى وغِطائى !
وفِناؤُكَ الممْتَدُّ أرْحَـبُ سـاحَـةٍ من أنْ يضيقَ بآثِمٍ خَطَّاء !
ضاقَتْ علىَّ مَنـازِلى ومَرَابِـعى ومَسالِكى.. وَجَفا الجُنُوب كِسائى
ودَلَفْتُ فى جُنْحِ الدَّياجِرِ خائفاً ونكَصْتُ حين أبى علىَّ فِنائى !
لم يَبْقَ لى إلاَّكَ . فارْحَمْ آبقاً من نارهِ .. بالرَّوْضَةِ الغَنَّـاء !
إنى أحِنُّ لـزَهْرِهـا وثمارِهـا وتُحِسُّ بَرْدَ ظِلالِهـا أحْشائى !

* * *

سَأَطُوفُ فى أرْجـائها مُتَهَـلِّلاً مُتَوَسِّـلاً بعقيـدةٍ سَمْحـاء !
رَغْم الأثامِ ثَوَتْ بصَدْرى صَخْرَةٌ شَمَّاءُ لُـذْتُ بها من الأنْواء !
يا صَخْرَتى الشَّمَّاء . . إنْ تَتَوسَّلى لله . أشُدُّ بصَخرَتى الشَّمَّاء !
فأنَا الفقيرُ إليه فى مَلَـكوتِـهِ والفَقْـرُ يقْصِدُ سيِّـدَ الكُرماء !
ما أسْتَرِيبُ بعَـدْلِـهِ وبفَضْـلِهِ أوْ أسْتَرِيبُ بتَـوبَتى ودُعائى !

الشاعر الرائد محمد حسن فقي

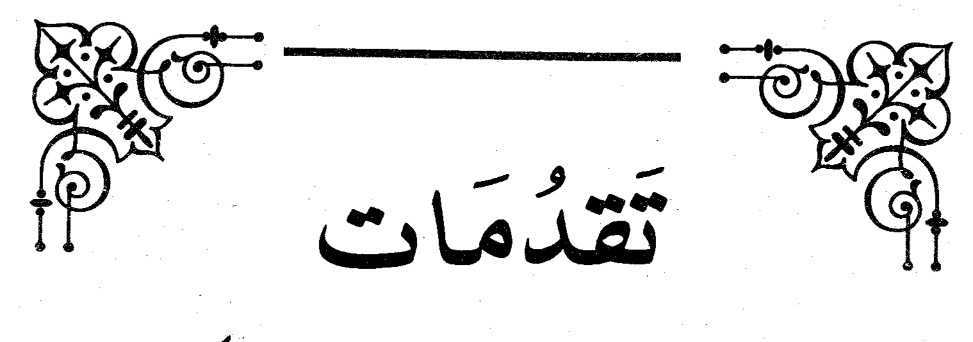
رَمَضان



رَمَضانُ يا شَهْرَ الصِّيام الْحُـ ـرِّ من أسْرِ الظـــلام
أَطْلِقْ بِأضْـــواءِ الْهُـدَى أسْرَ النفوسِ من الْحُطام
وَأنِرْ بِقُدْسِيِّ الصَّــفَاء رُؤَى الحيــاةِ مِنَ القَتَام
وأنْضِحْ عَواطِفَنَـا تُقًى وَأغْمِـرْ نَوَازِعَنـا وِئَام
رَمَضانُ يَا أمَـلَ النُّفُوس الظَّامِئَـاتِ إلى السَّـلَام
يَا شَهْرُ بل يَا نَهْرُ يَنْهَـلُ مِنْ عذُوبَتِـه الأنَـــام
طَافَتْ بِكَ الأرْوَاحُ سَابِحَةً كَأسْــرَابِ الْحَمَــام
بِيضٌ يُجَلِّلُهـا التُّقَى نُــوراً وَيَصْقُلها الصِّيَام
رَقَّافَةٌ كَشَــذَى الزُّهُورِ نَقِيَّــةٌ كَنَــدَى الْغَمَــام
شَفَّافَــةُ الإحْسَاسِ قَانِتَــةٌ مُهَــذَّبَــةَ الْــكَلام
عَــزَّتْ عَــلَى الأهْــواءِ وَارْتَفَعتْ على دُنْيَا الرِّغام
وَسَمتْ إلى النُّــور الَّــذِى غمَرَ الْوُجُودَ بِهِ ابْتِسَــام
نُورٌ مِنَ الفُرْقَــانِ يَرْفَعُهــا إلى أسْمَى مَقَـــام
آياتُــه تَشْفِى السَّــقَامَ ولَفْظُــهُ يَطْــفِى الأُوَام

رَمَضَانُ مَعْذِرَةً فَأَنَا لا وَرَاءَ ولا أَمَام
نِمْنَا وأَسْرَى المدلجون ومَا عَسَى يَجِدُ النِّيَام ؟
طَالَ الطريقُ بِنَا وَضَلَّ وَهَدَّ مَنْكِبَنَا الزِّحَام
وَلَوَى الطُّموحُ عِنَاقَه وانْقَدَّ من يَدِنَا الزِّمَام
سخرت بِنَا الأَهْوَاءُ وانطلقَتْ تُقَهْقِهُ فى عُرَام
وَتخاذَلَتْ هِمَمُ النُّفُوسِ فلا انْطِلاقَ ولا اقْتِحَام
حالٌ يَغَصُّ بها الكِرَامُ شَجًى ويَبْتَهِجُ اللِّئَام
رمضان رُبَّ فَمٍ تَمَنَّع عن شَرَابٍ أو طَعَام
ظَنَّ الصِّيَامَ عَنِ الغِذَاءِ هو الْحَقِيقَةُ فى الصِّيام
وَهَوَى على الأعراض يَنْهَشُهَا ويقطعُ كالحمام
يا لَيْتَهُ إِذْ صَامَ صَامَ عَنِ النَّمَائِمِ والْحَرَام
واسْتَاكَ إِذْ يَسْتَاك عن كَذِبٍ وزُورٍ وإجرام
وعن (الْقِيَامِ) لَوَ انَّهُ فيما يُحَاوِلُهُ اسْتَقَام
رَمَضَان نَجْوَى مُخْلِص للمُسْلِمين وللسَّلام
تَسْمُو بِهَا الصَّلَوَاتُ والدَّعَوَاتُ تَضْطَرِمُ اضْطِرام
لله جَلَّ جَلالُهُ ذِى الْبِرِّ والْمِنَنِ الْجِسَام
أَنْ يُلْهِمَ اللهُ الْهُدَاةَ الرُّشْدِ فى كلِّ اعْتِزَام

الشاعر الرائد محمد بن على السنوسى



تَقدُمَات

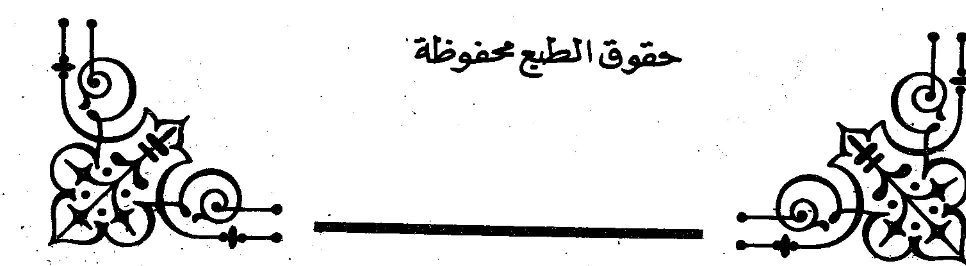
تلاوات آي من الذكر الحكيم

بقلم

عَبْد القُدُّوس الأنصَاري

القسم الثّانى

تفاسيرُ الأحكام



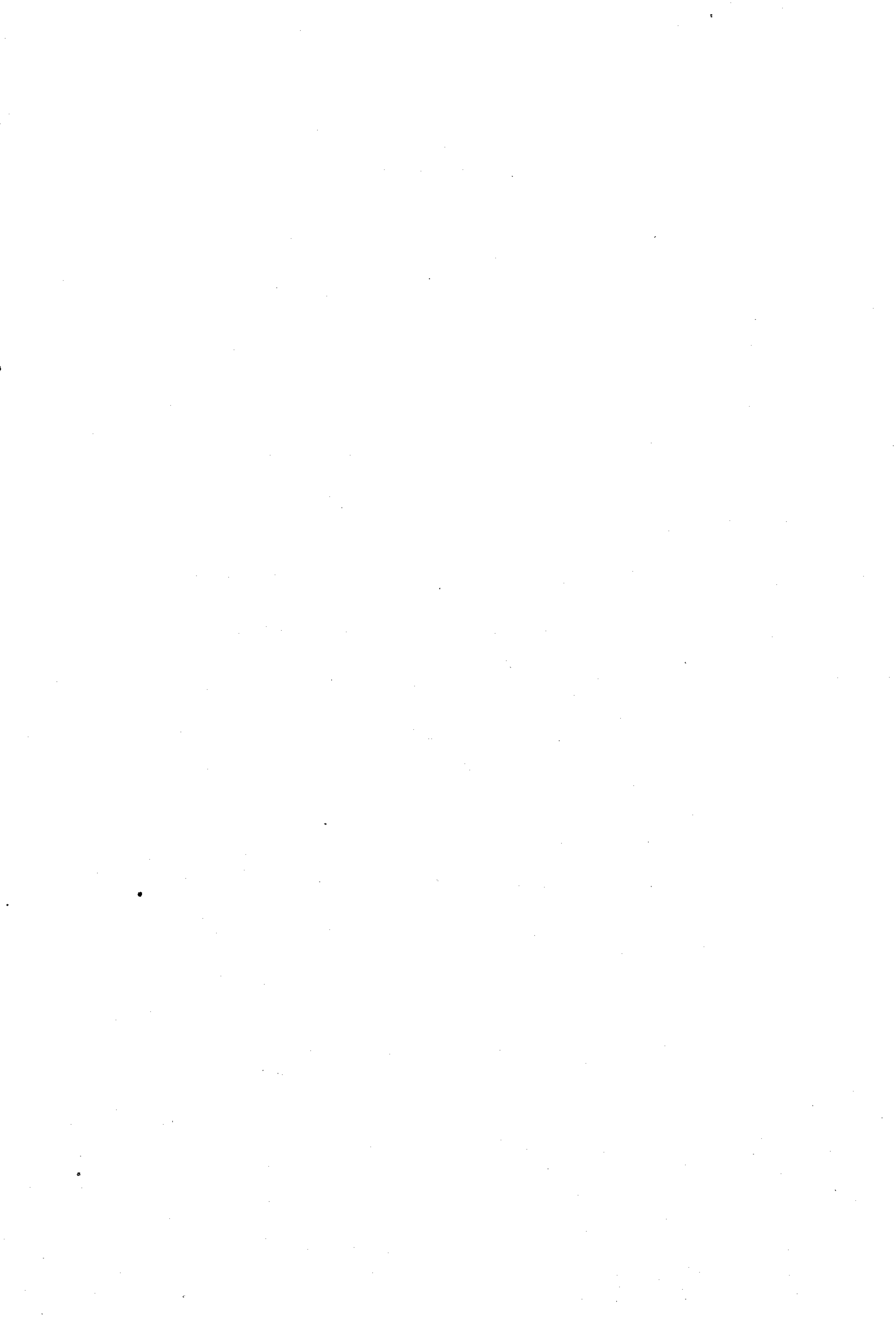
شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمامهم سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

هذه تقدمات تلاوات آى من الذكر الحكيم ، كتبها وبثها فضيلة الأستاذ عبد القدوس الأنصارى فى شهر رمضان المبارك عام ١٣٨٧ هجرية .

ولما لها من صلة واتصال بموضوع هذا المؤلف النفيس ، وتعميماً لفائدتها ، فقد استحسن ضمها له فى قسم مستقل .

نسأل الله أن تكون مع سابقتها (أحاديث الصيام) رحمة ومغفرة لمؤلفهما ، وهدى ونوراً للمسلمين أجمعين .



يــاربّ !!

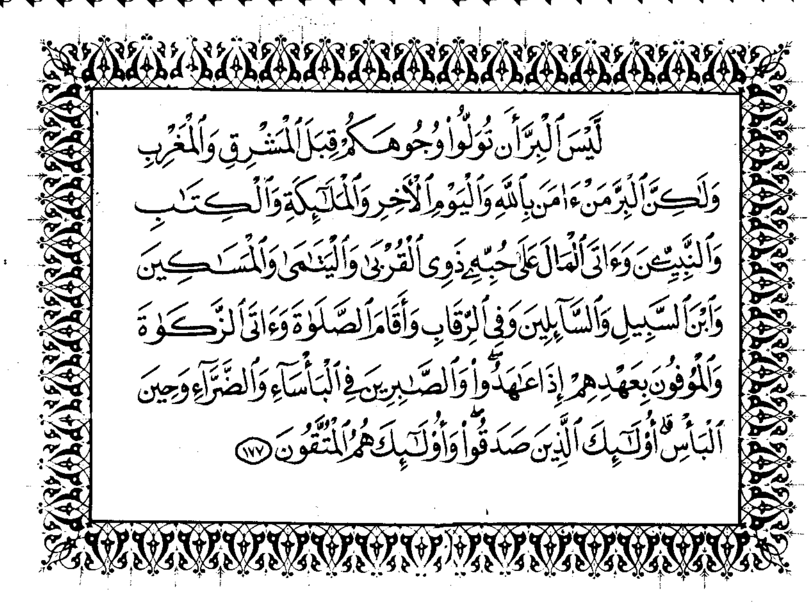
بقلم : الشاعر الرائد
محمد حسن فقى

أنِرْ لِى الطّـرِيقَ طَـريقَ الحياةِ   وكُنْ لِى المعِينَ لَدَى المُعْضِلَاتِ
ولا تَدَعِ اليَـأْسَ يَحْتَـلّ قلْبى   فإنّى أرَى اليَـأْسَ صِنْو المماتِ
وأطْلِقْ يَرَاعِى الضّـعيفَ بمـا   يُقَـوّى الوِئـامَ ويمحُو الشّتَاتِ
وباعِـدْ فُـؤادِى بِفَضْلِكَ عَنْ   مُـدَاهَنَـةِ الظّالمينَ الطُّغَـاةِ

مُقدمة

وقَـوّ جَنانى على حَـرْبِ مَـنْ   لَهُمْ شِيمةُ الذِّئْبِ فى ثَوْبِ شَاةِ
وَهَـبْ لِى بَيَـاناً إذا صِـغْتـهُ   تميـلُ إليـه النّفُـوس الأُبَـاةِ
وسَـدّدْ خُـطَاىَ إلى كلّ مـا   يَعُـودُ عَـلى أُمّتِى بالنّجَـاةِ
فأنْتَ الّذِى يُكْرِمُ القَـاصِدِينَ   وأنْتَ الّـذِى يمنَـحُ المَكْرُمَاتِ

* * *



يأيها الذين ءامنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد
والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسن
ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم
١٧٨ ولكم فى القصاص حيوة يأولى الألبب لعلكم تتقون ١٧٩

يأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من
قبلكم لعلكم تتقون ١٨٣ أياما معدودت فمن كان منكم
مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام
مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم
تعلمون ١٨٤ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرءان هدى للناس
وبينت من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان
مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هدىكم ولعلكم
تشكرون ١٨٥

آيٌ مِنْ سُورَةِ البَقَـــرَة

سأل أبو ذر رضى الله عنه ، رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الإيمان ؟ فتلا عليه الرسول الآية القرآنية العظيمة : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) إلى آخر الآية ..

وكان الله تعالى قد أمر المؤمنين أولا بأن يتجهوا فى صلواتهم صوب بيت المقدس ، ثم حولهم إلى الكعبة ، فشق ذلك على نفوس بعضهم ، فنزلت الآية موضحة أن العبرة ليست بالتوجه المجرد عن توجيه الله إلى مشرق ومغرب. المهم للمسلم هو طاعة الله فيما أمره به ، ومنها التوجه إلى الكعبة بعد بيت المقدس . وتحوى الآية أهم أصول الإسلام كما هو واضح .. أولا : الإيمان بالله .. والإيمان باليوم الآخر ، وبالملائكة ، والكتاب والنبيين ، وإنفاق المال على حبه للأقرباء ، واليتامى ، والمساكين والسائلين ، وفى مكاتبة الرقيق ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والوفاء بالعهد ، والصبر على الفقر والمرض ، وحين مقاتلة أعداء الإسلام .

وفى الآيات الكريمات تشريعات ثلاثة من الله جل وعلا ، روعى فيها ترويض النفوس المسلمة على التمسك بتعاليم الدين ، وتتدرج هذه التعاليم حسب مقتضى التدرج التربوى للمسلمين ، فى تنفيذ تعاليم الدين الحنيف . وهذه تربية قويمة ملحوظة من الله لعباده المسلمين .. نشاهدها جلية فى الآيات المتعددة التى نزلت متدرجة إلى تحريم الخمر تحريماً باتاً ..

التشريع الأول فى القصاص .. فقد جعلته آية سورة البقرة هذه التى هى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليك القصاص فى القتلى ، الحر بالحر والعبد بالعبد) إلى آخر الآية .. قتل الحر بالحر ، والعبد بالعبد . ولقد نسخت هذه الآية بآية : (النفس بالنفس والعين بالعين) .

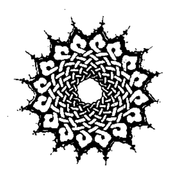
والتشريع الثانى فى فرض الوصية .. فقد فرضها على كل مسلم بآية : (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين) إلى آخر الآية : ثم نسخت بآية المواريث ، التى حددت مايعطى لكل وارث .

والتشريع الثالث يتعلق بالصيام .. فقد جعلته آية : (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) والآية التالية لها – غير مقيد ولا محدد بزمن معين .. وجاءت الآية التالية بالنسبة للآيتين ، ناسخة لذلك الحكم ، وهى الآية التى فرضت صيام شهر رمضان كاملا للمسلم البالغ المستطيع المقيم : (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه) إلى آخر الآية ..

وحينما سأل أعرابى الرسول عليه السلام : أقريب ربنا فنناجيه ؟ ! أم بعيد فنناديه ؟ .. سكت النبى صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله عليه الجواب فى آية كريمة هى قوله تعالى : (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعانى ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) .

ومع فرضية صوم شهر رمضان المبارك على المسلمين فإن الصوم فيه مقصور على بياض أيامه فقط .. أما الليالى فمباح للمسلمين التمتع فيها بكل ماهو مباح لهم قبل شهر رمضان .

* * *



يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ

(٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٢٨٦)

وآية الدَّين بسورة البقرة ، وهى أطول آية فى كتاب الله العزيز ، يشرع الله لعباده تشريعاً عادلا حكيما هو فى مصلحتهم ، ويختص هذا التشريع بموضوع الديون ، فأمرنا الله بأننا إذا تداينا أن نكتب مقدار الدين وأجل استيفائه ، ويكون كاتب ذلك رجلا عدلا أميناً على حقوق الناس ، لايحابى ولا يمالى، ونستشهد على الديْن ومقداره وأجل استيفائه ، شاهديْن ذكريْن ، فإن لم يوجدا فرجل وامرأتان من المرضية شهادتهم . وهذا الإجراء لازم فى ديْن صغير أو كبير . ويوضح الله لنا مزية هذا الإجراء بأنه أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأقرب إلى نفى الريبة .

وقد رخص الله لنا فى التجارة الحاضرة التى نديرها بيننا ، فلا جناح علينا إذا لم نكتبها ، كما بين لنا بياناً شافياً أننا إذا تبايعنا فعلينا أن نشهد على

البيع ، ثم جاءت الآية التالية ترخص ترخيصاً آخر فى عدم الإلزام بالكتابة ، وذلك إذا كنا مسافرين ولم نجد كاتباً ولا دواة ولا قرطاساً ، ففى هذه الحالة نقدم رهاناً مقبوضة وتكون بيد صاحب الحق ، كما علمنا بضرورة أداء الشهادة ، ونهانا عن كتمانها بسبب شغل أو أى عذر من الأعذار . ولله ملك السموات والأرض ، وسوف يحاسبنا على مانخفيه من الشهادة ولا نؤديه ، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء .

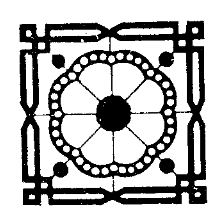
ويخبر الله عن نبيه بأنه آمن وصدق بما أنزل إليه من ربه ، وكذلك آمن بذلك المؤمنون ، كلهم آمن بالله رباً معبوداً حقاً ، منفرداً باستحقاق العبادة والدعاء ، وكلهم آمن بملائكته وكتبه ورسله بدون تفرقة بين أحد منهم ، على ماتفعله اليهود والنصارى ، إذ يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض .

وهذا من دلائل شمول رسالة محمد صلوات الله عليه وبقائها إلى يوم القيامة ، فإن من مبادئ دين المسلمين وأركانه الإيمان بجميع الرسل ، فهم الأمة الوسط الخالدة بخلود الدنيا . والمسلمون من دأبهم السمع والطاعة لأوامر ربهم ، بخلاف من سبقهم الذين قالوا (سمعنا وعصينا) وهم يطلبون دائماً من ربهم

مغفرة ذنوبهم ، ويسألونه التخفيف عنهم دائماً فى التكليف ، فلا يكلفهم الله بما ليس فى طاقتهم أداؤه . والله مستجيب لهم فى ذلك : (لايكلف الله نفساً إلا وسعها) . ولكل نفس ماكسبت من الخير والصلاح ، وعليها مااكتسبت من الشر والذنوب . ومن ديدن المسلمين المخلصين أن يدعوا الله : (ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا) . والإصر هو العهد الثقيل . (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) .

هذا وقد وردت أحاديث فى فضل هاتين الآيتين الكريمتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه » وقال : « أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش » .

وكان معاذ رضى الله عنه إذا فرغ من هذه السورة : (فانصرنا على القوم الكافرين) قال : آمين ونقول نحن اليوم : (آمين) .



إِنَّ رَبَّكُمُ

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾

وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ

مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

آيٌ مِنْ سُورَةِ الأَعْرَافِ

يخبرنا الله تعالى أنه خالق السموات والأرض فى ستة أيام ، ثم استوى على العرش من غير تكييف ولا تعطيل ولا تشبيه ، ويخبرنا تعالى أنه يجعل الليل يغطى النهار بظلامه ، ويجعل النهار يغطى الليل بنوره فى نظام دقيق . ويخبرنا أنه تعالى خلق الشمس والقمر والنجوم ، وكلهن مسخرات لأمره ، وذلك لأنه تعالى له الملك والتصرف الشامل الكامل ، وهو رب العالمين .

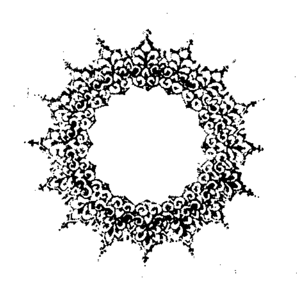
فإذا كان جل وعلا هو الخالق المتصرف فى الكون فعلينا أن ندعوه متذللين فى سر ، وعلينا أن نشكر آلاءه ونقابلها بما تستحق من تقدير ، فلا نفسد فى الأرض بإتيان معاصيه ، فيمسك بذلك عنا رحمته وأمطاره فيهلك حرثنا بمعاصينا . ورحمة الله وثوابه قريب من المحسنين المتبعين لأوامره المجتنبين لنواهيه .

وبمناسبة ما أخبرنا به جل وعلا من أنه خالق السموات والأرض ، المتصرف الحاكم المدبر المسخر ، أرشدنا كذلك إلى أنه الرازق الذى يرسل الرياح فى أجواء أرضنا مبشرات بنزول المطر الذى تقل سحبه ثقيلة ، فيسوقه الله إلى بلد ميت فيخرج به من كل الثمرات التى نعيش باغتذائها . وضرب لنا جل وعلا هذا الإحياء للأرض بعد موتها بالمطر بإحياء الناس بعد موتهم . والله يخرج نبات الأرض الطيبة سريعاً ، وأما الأرض الخبيثة المسبخة فلا يخرج نباتها إلا عسراً قليلا وبعد عناء ومشقة وجهود لاتكافؤها مايخرج منها . والأرض الطيبة مثل المؤمن ، والخبيثة مثل الكافر .

وفى أول السورة قص الله علينا قصة أبينا آدم عليه وزوجه السلام، وبعد ذلك قص علينا قصص الأنبياء متتابعة على تتابع أجيالهم.. وأولهم بعد آدم نوح عليه السلام أبو البشر الثانى .. ناظر قومه فى محاولة إثبات رسالته من الله لهم

ومحاولة إيمانهم بوحدانية الله ، فامتنعوا ، فأهلكهم الله بعد أن قامت عليهم الحجة الواضحة ..

وبعده قص علينا قصة نبي الله هود المرسل إلى قومه عاد بعد قوم نوح ، وقد ناظرهم وقدم لهم أقوى الحجج وأعمق البراهين على صدق رسالته وضرورة توحيدهم لله ، فامتنعوا ، فأهلكهم الله أسوة بقوم نوح من قبلهم .



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ
نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ
شَيۡبًا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن
وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي
وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ
بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ
لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ
كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا
﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ
سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ
بُكۡرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٍۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ
صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةًۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ
وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ
وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

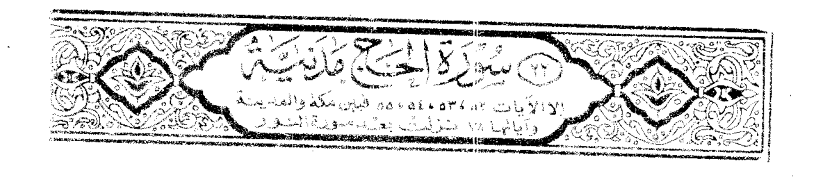
وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ
مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانًا شَرۡقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابًا
فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ
بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ
لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي
بَشَرٌ وَلَمۡ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌۖ
وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةً مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرًا مَّقۡضِيًّا ﴿٢١﴾
۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ
إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيًا
مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ
سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبًا
جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنًاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدًا
فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمًا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ
هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٍ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ
إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ
ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ
وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي
وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ
أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ
ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾

آيٌ مِنْ سُورَةِ مَرْيَم

بدأ الله تعالى سورة مريم المكية النزول بخمسة أحرف (كهيعص) . والله أعلم بمراده بها .

وقد أخبرنا الله فى هذه السورة بقصتى ولادتين عجيبتين : أولاهما ميلاد يحيي بن زكريا عليهما السلام، من أبيه الطاعن فى السن ، الرقيق العظم ، وأمه الكبيرة السن العاقر .. وقد عجب زكريا من معجزة إنجابه ليحيي فى هذه الحالة اليائسة ... وقد آتى الله يحيي الكتاب بقوة، والحكم صبياً ، ومنحه التقوى وبر الوالدين فنال من جراء كل ذلك السلامة يوم ولادته ، ويوم مماته ، ويوم بعثه .

أما القصة الثانية فهى قصة ميلاد عيسى عليه السلام ، من أمه مريم بدون أن يكون لها بعل وبدون أن يمسها بشر .. كان ذلك محض إرادة الله ونفذها الملك المرسل إليها بها جبريل عليه السلام .. وهكذا حملت مريم بعيسى أحد أولى العزم من الرسل ، وقد أذهلتها المفاجأة وتذكرت عندها أقاويل الناس عنها فيما بعد . وماقد يرمونها به من تهم باطلة ، فتمنت الموت قبل حدوث هذا الحمل ، وتمنت لو لم تكن شيئاً قبله .



آيٌ مِنْ سُورَةِ الحَجّ

نزلت سورة الحج بالمدينة المنورة وفى آياتها المتلوة وعد الله المؤمنين العاملين للصالحات بدار الخلد ، ووعد نبيه بأن ينصره على رغم أعدائه الجاحدين لرسالته الحقة ، ومن يغظه ذلك منهم فما عليه إلا أن ينتحر ليشفى غيظ صدره .

والقرآن هو آيات بينات للرشاد . وفى يوم القيامة سيفصل الله بالعدل بين معتنقى الأديان السائدة فى الدنيا وهى : الإسلام واليهودية والنصرانية والمجوسية والأشراك . فيدخل المسلمين جنته والكافرين ناره .. وكل شىء فى هذه الدار خاضع للسجود لله تعالى، شاء أم كره : السماوات والأرض ، والشمس والقمر والنجوم والشجر والحيوان وكثير من الناس . أما من استكبروا منهم أعدّ لهم عذاب أليم .

وهذا مشهد عظيم من مشاهد الصراع بين الحق والباطل .. فهذان فريقان خصمان اختصموا فى ربهم : فريق مؤمن به . . وهم علىّ وحمزة وعبيدة . وفريق كافر به .. وهم شيبة وعتبة والوليد .. الكافرون من هذين الفريقين لهم عذاب بالغ القسوة ، مستديم فى الآخرة .. والمؤمنون منهما لهم جنات عدن لهم فيها كل الرفاهية الخالدة .. لقد هداهم الله إلى القول الطيب : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .. وهداهم إلى الصراط القويم : الإسلام ، فربحوا وفازوا ..

وتقرع السورة كفار قريش بجمعهم بين الكفر والصد عن سبيل الله والمسجد الحرام .

وهذا المسجد الحرام – البيت العتيق – بوأه الله لإبراهيم عليه السلام ، وقد أمره بأن يطهر نفسه من الشرك بالله كما يطهر بيته الكريم من آثار هذا

الشرك . ليكون جو عبادة الله عبقاً وصافياً خالياً من المكدرات . كما أمره الله بأن يؤذن فى الناس بحج هذا البيت ، ووعده بقدوم أفواج الحجاج من كل فج عميق ، وعرفه أن فى حجهم المتعاقب على مر السنين والقرون والأجيال فوائد جليلة ومزدوجة .. فهم يشهدون فى حجهم منافع مادية ومعنوية .. وفى موسم الحج يبرز أعظم مظاهر التضامن الإسلامى ، إذ يجتمع مسلمو أنحاء الدنيا فى رقعة واحدة ، وفى زىّ واحد ، وفى عبادة واحدة ، وفى وقت واحد من كل عام ..

وتستطرد الآيات الكريمة بالمناسبة بأنه جعل الله لكل أمة منسكاً ، وليس معنى المنسك هنا كما فهم البعض هو (الحج) ، فلم يجعل الله مكاناً للحج سوى مكة ، لاسابقاً ولا لاحقاً .. وإنما معنى النسك هنا المذبح الذى يذبح فيه مؤمنو الأجيال السالفة قرابينهم على اسم الله تعالى .

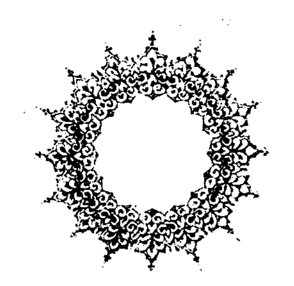
والله يدافع عن المؤمنين الصادقين ويحميهم . وفى آية : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) صدر الإذن الإلهى لأول مرة للمسلمين بقتال أعدائهم الذين يقاتلونهم .. وعلل هذا الإذن لهم بالقتال بأنهم مظلومون ، لقد أخرجوا من ديارهم وصبت عليهم أنواع الإذايات والإهانات .

وتشرح آية : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد) الآية . . قانون الله الخلاق من أجل استمرار بقاء خلقه من الناس حتى يوم القيامة .. وهذا القانون الحكيم الخالد هو مدافعة الناس لبعضهم ، فلا تتسلط تسلطاً مطلقاً مستمراً على الأرض جميعاً — أية أمة مهما يكن سلطانها . لابد أن تكون بجانبها أمم تناهضها الصولة والدولة .. وتقارعها .. فإذا ازداد طغيانها وخيف شموله للأرض قيض الله لها من يقوض أركانها .

وقد جاءت آية أخرى تشرح هذا المعنى وهى قوله تعالى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) ومعلوم أن (لولا) حرف امتناع لوجود .. والمعنى إذن امتناع هدم بيوت العبادة المختلفة وامتناع فساد الأرض

لوجود قانون دفع الله بعض الناس ببعض .. إنه قانون توازن القوى وتكافؤها المشهود أثره الحميد إلى اليوم . وقد أوجده الله وعرفنا بإيجاده له .

ومع كل ذلك سيحمى الله المؤمنين به من أعدائهم أياً كانوا . وهؤلاء هم الذين إذا مكنهم الله من الحكم أطاعوه وعدلوا بين خلقه . والله إليه مصير كافة الناس صالحهم المكافأ منه بالسعادة والحسنى ، وطالحهم المجازى منه بأقسى ألوان العقاب فى الدنيا والآخرة .. والعياذ بالله .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾

آيٌ مِنْ سُورَةِ المؤْمِنُون

سورة المؤمنون مكية النزول . وفيها يخبر الله عباده ويبشرهم بحصول السعادة والنجاة للمؤمنين به الخاشعين فى صلاتهم .. أى الخائفين الساكنين أثناء أدائها . المعرضين عن الباطل الذى فى طليعته الشرك ثم سائر المعاصى . المزكين لأموالهم . الحافظين لفروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم . المحافظين على الأمانات ، فلا يخونون إذا ائتمنوا ، ولا يخلفون إذا وعدوا ، ولا ينكثون إذا عاهدوا ، أو عاقدوا ، ولا يكذبون إذا حدثوا . المحافظين على أداء فروض الصلوات الخمس فى أوقاتها بدون تأخير . إن هؤلاء بحق هم المفلحون الذين يرثون بعد البعث أعلى الجنان ، فهم فيها خالدون .

وناسب المقام . تذكير الناس أجمعين بمراحل خلق الله لهم .. وذلك ليتعظوا ويؤمنوا ... فالإنسان خلقه الله فى الأصل من أبى البشر آدم الذى خلق رأساً من الطين بقدرته تعالى .. ومراحل خلق ذرية آدم هى كما يلى :

أولا : نطفة ، أى ماء دافق من الرجل يستقر فى رحم المرأة ..

ثانياً : يحول الله هذه النطفة إلى علقة ، أى دم على شكل مستطيل ..

ثالثاً : ويحول العلقة هذه إلى قطعة متماسكة كبضعة لحم لاشكل فيها ولا تخطيط .

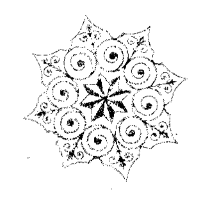
رابعاً : ويحول الله بقدرته هذه البضعة إلى شكل له رأس ويدان ورجلان بعظامها وعصبها وعروقها .

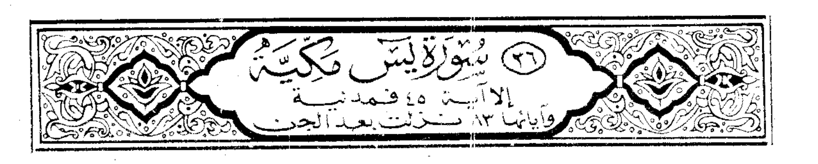
خامساً : وينفخ الله فى هذا الشكل الروح ، فيتحرك ويصير خلقاً آخر ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب (فتبارك الله أحسن الخالقين) .

وناسب المقام تذكير الإنسان المخلوق بقدرة الله هكذا . بمننه وإحسانه عليه .. بعد نفخ الروح فيه وتكوينه إنساناً كاملا ذا حركة وإدراك واضطراب فى الأرض . ومن أهم مننه عليه إنزال المطر من السماء على الأرض مستقر الإنسان بحساب منظم .. حتى لايطغى المطر على الأرض فيغرقها .. وحتى لايقصر عن إروائها فلا تنبت شيئاً مما يقتات به الإنسان .. وكذلك أنشأ الله من المطر الحدائق ذات الفواكه والخضراوات والحبوب والثمار التى يعيش بأكلها الإنسان على وجه الأرض .

وناسب المقام أيضاً ذكر نعمة خلق الأنعام بالنسبة للإنسان .. فالإنسان يتمتع بفوائد الأنعام الجزيلة .. إنه يشرب من ألبانها ، ويأكل من لحومها ويلبس من أصوافها وأوبارها وأشعارها ، ويركب ظهورها إلى بلاد نائية أو دانية ، ويحملها أثقال أمتعته ولوازمه وبضائعه من مأكولات وملبوسات ومشروبات ومصنوعات .. إلخ .

والله الخالق البارئ المصور هو الذى أرسل نوحاً رسولا إلى قومه لينذرهم من مغبة شركهم بالله ، وقال لهم : (ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون) .





آي من سورة ياسين

يمجد الله نفسه الكريمة على ما أنزله على رسوله محمد من القرآن الذى يفرق بين الحق والباطل ، بحيث يكون الرسول رسولا للبشر جميعاً . وهؤلاء المشركون هم قوم بُهتٌ وفى منتهى الجهل والغباوة ، فقد جعلوا لهم آلهة من دون الله الخالق العظيم ، وهذا مع إدراكهم الواقعى بأن هذه الآلهة مخلوقة مثلهم ضعيفة إلى النهاية ، لاتخلق شيئاً ولا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، ومن جهلهم وعنادهم أن رموا الرسول الكريم بالبهتان ، فقالوا : إنه افترى القرآن من عنده ، وإنه لم ينزل إليه من الله ، وإنه استعان على جمعه بقوم آخرين .. افتراءات مكشوفة متعمدة نابعة من مهاوى الضلال والتعنت الخاسر والحقد الأسود الدفين . كما قالوا عن القرآن ماهو ظاهر السخف والزور ، قالوا : إنه كتب الأولين استنسخها محمد . وهذا مع يقينهم العميق بأنه عليه السلام لم يمارس الكتابة لا فى صغره ولا فى كبره . والحقيقة الصارخة عن القرآن أنه منزل من الله الذى يعلم أسرار خلقه فى تواريخهم ومجريات حياتهم السابقة والحاضرة والآتية .

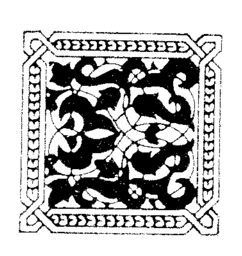
ومن غشيان التعنت الأعمى لبصائرهم ينتقدون أحوال الرسول الاجتماعية فهو يأكل الطعام مثلهم ، ويمشى فى الأسواق التماساً للمعاش . ويتندرون بطلب إنزال ملك معه يعرفهم بصدق رسالته أو إنزال كنز إليه يكفيه مؤونة طلب المعاش فى الأسواق ، أو تكون له جنة أى بستان يسير معه ...

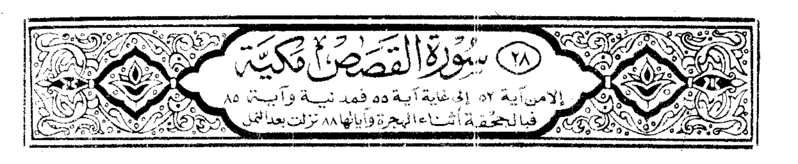
وهذه ألوان من التخريف المبطن بالغباء والتعنت ، ونموذج مضحك من الجهل الفاضح والضلال المبين . فالله قادر على أن يجعل له خيراً من ذلك كله ، جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وقصوراً فى هذه الدنيا ، ولكنه عليه السلام فضل البقاء على حالته المشاهدة ليكون عبداً لله صبوراً شكوراً . وإذا كذب

هؤلاء القوم بيوم القيامة وبالبعث فقد أرصد الله للمكذبين سعيراً يتأجج ، كما أعد للمؤمنين المتقين جنة خلد ، لهم فيها مايشاءون من نعيم مقيم .

وفى يوم القيامة سيحشر الله الكافرين مع مايعبدون من دون الله . ويسأل الله المعبودين . هل هم الذين دعوا المشركين إلى عبادتهم من دون الله فيتبرءون من ذلك لأنهم برءاء بالفعل ، ويومئذ يبهت المشركون ولا يستطيعون صرف العذاب عنهم ولا الانتصار لأنفسهم ، ولذلك يكون مصيرهم دخول النار . أما نقد المشركين للرسول بأنه يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق فليس ذا موضوع ، فكل المرسلين من قبله يفعلون هذا .

وأما تهكم المشركين الذين لايخافون يوم البعث وقولهم : لولا أنزل علينا الملائكة فتخبرنا بصدق محمد ، أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك ، فإن الله يرد عليهم بأنهم فى هذا القول لقد طغوا طغياناً كبيراً ، وإن تمنيهم لقاء الملائكة ليس فيه خير لهم ، فإن يوم رؤيتهم لهم وهو يوم خروج أرواحهم من أجسادهم ، هو يوم تعس لهم ، ولا بشرى لهم فيه ، وسيقولون فيه حجراً محجوراً ، أى عوذاً معاذاً من هؤلاء الملائكة أنفسهم .. وصدق الله العظيم .





آيٌ مِنْ سُورَةِ القَصَص

نزلت سورة القصص بمكة . وتشتمل هذه السورة على قصة حياة النبى موسى عليه السلام منذ نشأته حتى نبوته .

وقد مرت على حياته الكريمة العظيمة أدوار . منها إلقاؤه فى بحر النيل وهو رضيع ، وإيواء أشد أعداء قومه له بعد أن التقطه آله من اليم رضيعاً خوفاً عليه من فرعون وقومه ، وكفالة أمه وإرضاعه له بعد أن كره غيرها من المراضع ، لطفاً من الله به وبها ، وإنجازاً للوعد الذى وعدها يوم ألهمها أن تلقيه فى البحر رضيعاً .

ومن تلك الأدوار مؤازرته للإسرائيلى الذى استنصره على القبطىّ بمصر ، فوكزه موسى بيده فقضى عليه ، ومنها استنصار نفس الإسرائيلى باليوم التالى له على قبطى آخر كان يقاتله ، واهتمام موسى بقتله أيضاً ، لولا أن الإسرائيلى كان أحمق ، فصرخ فى وجه موسى بقوله : (أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس) ظناً منه أن موسى يريد القضاء عليه لا على القبطى .

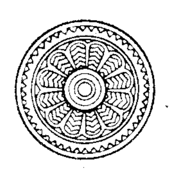
ومن أدوار حياة موسى ذيوع قتله للقبطى ، وتآمر القبط أعداء بنى إسرائيل على قتله ، واغتمامه بذلك ، وقدوم ذلك المؤمن الموفق ساعياً من أقصى المدينة لينقذ حياة موسى ، فأنذره بما بيته القوم له ، ونصحه بالخروج حالاً من المدينة ، ففعل .

ومن أدوار حياة موسى عليه السلام فى رحلته عن المدينة المصرية قدومه إلى بر مدين ورؤيته لبنات شعيب النبى عليه السلام يذدن غنمهن عن البئر ، وسقيه لهن ، ثم تزويجه إحداهن من قبل أبيهن الشيخ ، تقديراً لقوته وأمانته ، كما حدثته بذلك إحدى بناته .

ومن أدوار هذه القصة الحافلة رحيل موسى عن صهره شعيب بعد أن قضى أجل أجرته التى كانت هى مهر ابنته ، ومشاهدته النار من بعد فى شتاء قارس ، وإزماعه الإتيان منها بقبس لأهله لعلهم يصطلون ، ثم مشاهدته تجلى الله تعالى للجبل ، ومخاطبة الله له بالرسالة إلى فرعون وقومه ، وإعطاؤه معجزتين رهيبتين هما حركة عصاه ، وابيضاض يده إذا أدخلها فى جيبه من غير سوء ، وعودته بأمر الله مرسلا إلى فرعون وقومه بمصر .

وفى السورة تبيان أدوار حياة موسى عليه السلام وهو رسول من الله إلى فرعون ، وما دار بينهما من حوار فى شأن معجزاته ، والإلماح إلى قصته مع قارون الذى كان من قومه فبغى عليه لكثرة كنوزه ، فعاقبه الله على بغيه بالخسف به وبداره .

وتتخلل السورة مواعظ إلهية وحجج وتوجيهات ربانية ، وإنذارات صارخة للمشركين الذين يعاندون رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالويل والثبور إذا أصروا على شركهم ، ووعد من الله تعالى لمحمد عبده ورسوله بأن يفتح له مكة المشرفة ، وهذا قول ابن عباس رضى الله عنه ، وعليه فإن الآية التى تشتمل على هذا المعنى هى مدنية النزول وإن كانت جملة السورة غيرها نزلت فى مكة المشرفة .



لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن
كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ
ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا
زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ
ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا
﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ
أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا
عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾
وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن
كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ
لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ
لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا
كَرِيمًا ﴿٣١﴾

آيٌ مِنْ سُورَةِ الأَحْزَاب

نزلت سورة الأحزاب فى المدينة . وفى أولها أمر من الله تعالى لنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، بالمواظبة على تقوى الله كما هو عليه حاله دائماً ، وبعدم إطاعة آراء الكفار من مكة والمنافقين من المدينة ، وعدم استشارتهم مطلقاً فى أى شأن من الشئون . إن الله حارسه وحافظه ، فتكفيه الثقة به تعالى .

وتحتوى السورة على حكمة وأحكام شرعية . الحكمة تتمثل فى أن الله حينما خلق البشر لم يخلق لأى واحد منهم قلبين ، بل قلباً واحداً ليس غير ..

وأما الأحكام : فأولها هو أن قول الرجل لزوجته : أنت حرام علىّ كظهر أمى ، لا يجعلها أمه .. ولأن هذا قول منكر وزور ففيه كفارة على قائله فقط ولا يستوجب تحريم زوجه عليه ..

وثانى الأحكام هو أن الشخص المتبنى ، لايكون ابناً لمن تبناه ، ولا يصح أن يقال له إنه ابن فلان المتبنى له ، بل ينسب إلى أبيه الذى خرج من صلبه . وفى هذا رد للحق إلى نصابه ، وإبطال لعادة جاهلية كانت سائدة .

والحكم الثالث : هو أن النبى محمداً عليه الصلاة والسلام أولى بالمؤمنين من بعضهم لبعض فى نفوذ حكمه عليهم ، وفى وجوب محبته ، وفى وجوب طاعته .

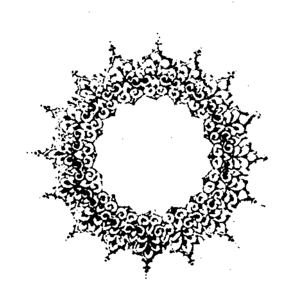
والحكم الرابع : أن أزواج النبى هن أمهات المؤمنين فى تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن على التأبيد ، لافى النظر إليهن والخلوة معهن ، فإنه حرام فى حقهن كما فى حق الأجانب .

والحكم الخامس : أن الأقرباء أولى بميراث بعضهم لبعض ، من المؤمنين الأنصار الذين آخى رسول الله بينهم وبين المهاجرين ..

وتحتوى السورة على إخبار الله لنا بأنه قد أخذ الميثاق على أولى العزم من رسله الذين هم خمسة : محمد صلى الله عليه وسلم ، ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته .

وبعد هذا يحدثنا الله جل وعلا بما من به على نبيه أشرف الأنبياء محمد عليه السلام من تفتيت الحملة الكبيرة الخطيرة التى اجتمع فيها رءوس الكفر من مكة ومن غطفان ومن اليهود ، بقصد القضاء على دين الإسلام فى البلد الوحيد الذى يوجد فيه بما أرسل على جموعهم من ريح صار شديدة وجنود من الملائكة لاترى ، فزلزلت الجموع المهاجمة ، وولت الأدبار فى ليل شاتية مظلمة شديدة الأعاصير سلطها الله عليهم .

ثم حدثنا جل من قائل بما كان يختلج فى ساعات الحرج فى صدور المسلمين من الظنون ، وبما كان يقوله ذوو النفاق فى تلك الظروف القاسية من شتى الأقاويل التى تنم عن دخائلهم الخبيثة تجاه الإسلام . وقد خيب الله ظنونهم وتقديراتهم ، وحمى دينه الحنيف .



ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ
وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ
لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ
مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ
إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ
لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا
تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ
أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ
ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ
ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ
وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ
هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟
مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ
﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾

آيٌ مِنْ سُورَةِ فَاطِر

فى السبع عشرة آية الأوليات من سورة (فاطر) المكية النزول ، يعدد الله جل وعلا خصائص ودلائل ألوهيته ووحدانيته .. يعدد ذلك لخلقه من البشر فى جميع أنحاء الدنيا وفى كل زمان لعلهم يهتدون بهذا المنار الوضاء ، إلى رياض الإيمان ، بما نزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فتسلم أجسادهم وأرواحهم من الصلى بنار جهنم ، ويدخلون جنة المأوى أفراداً وأفواجاً .

فالله سبحانه هو خالق السموات والأرض ومبدعهما على غير مثال ، وهو خالق الملائكة ذوى الخلقة العجيبة وذوى الأجنحة المتعددة .. وهو الرزاق ، وهو مرسل الرياح فى الآفاق ، تثير السحاب وتسوقه إلى بلد ميت من الظمأ ، فإذا به ينتعش ويحيى بقدرته تعالى ، بما أنزل عليه من مطر مدرار . وحياته بالنبات الذى ينتشر على أديمه . وقد ضرب الله إحياءه هذا للأرض الميتة ، مثلا لإحيائه الناس بعد إماتتهم .. فالحالان سواء .

وهو جل وعلا الذى إليه يصعد الكلم الطيب ، من ذكر وتلاوة للقرآن ، ومن دعاء مخلص يخرج من جوف تائب خاشع .. أو مستغفر منيب . وإليه كذلك يرتفع العمل الصالح من عباده ، من أدائهم لفرائضهم وسننهم ونوافلهم ومن إسدائهم المعروف لبعضهم .. والله هو الذى بدأ بخلق سائر البشر .. خلق أباهم آدم من التراب مباشرة .. ثم خلقهم بعد ذلك من صلبه .. من نطفة ثم جعلهم أزواجاً يسكن بعضهم إلى بعض ، والله هو العليم بأسرار خلقه . فما تحمل أنثى إلا بإرادته وعلمه ، ولا تضع إلا بعلمه وإرادته ..

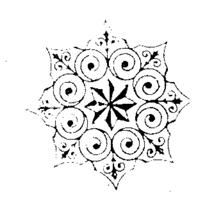
وهو جل وعلا خالق الماء بنوعيه : الأنهار العذبة الدفاقة من الأنجاد إلى الوهاد ، والبحار المستقرة فى أماكنها . . فمن الأنهار يشرب الناس ، ومن

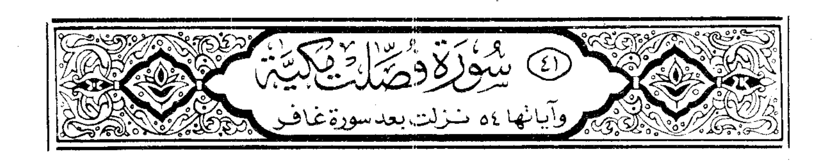
البحار يستخرجون غذاءهم من السمك ، وتمخر سفنهم للحصول على الخير الوفير والفوائد المادية الكثيرة ..

والله هو الذى يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل .. يأخذ من طول هذا فيزيده فى قصر هذا فيعتدلان ، ثم يأخذ من هذا فى هذا ، فيطول هذا ويقصر هذا ، ثم يتقارضان صيفاً وشتاءاً .

والله هو الذى خلق الشمس والقمر وغيرها من الكواكب السيارة والثابتة ، وجعل لها نظاماً عملياً تسير فيه سياراتها لاتختلف عنه .. ومن كان كذلك فلاريب مطلقاً فى أنه هو الخلاق العظيم المستحق للعبادة ، والواحد الأحد الفرد الصمد . . بخلاف هذه الأصنام التى ينصبها بأيديهم المشركون ويعبدونها على غير هدى ، فإنها جمادات صماء بكماء ، لاتسمع ولا تعى ، ولا تتحرك ولا تنفع ولا تضر ..

وهذه الحقائق الواقعة الثابتة الواضحة من شأنها أن تحمل الملحدين والكافرين فى سائر الأزمنة والأمكنة على إعادة النظر فى موقفهم الأهوج ، فيعرفون من أعماقهم بوحدانية الله وألوهيته وعظمته . . والعاقل من اتعظ بغيره .. فكم من أمم كفرت بالله وبأنعمه ورسله ورسالاتهم فأهلكم الله وأبادهم .. والذين آمنوا منهم أسعدهم الله وأنجاهم وأنالهم الجنة .. وبذلك فازوا بالحسنيين . وليعلم الملحدون والمشركون أن الله غنى كل الغنى عن عبادة مخلوقاته وهم منهم .. وهم كلهم متساوون فى الافتقار إليه .. عاجلا وآجلا .. وهو لو شاء لأفناهم فى لمحة بصر ، وجاء بخلق غيرهم .. فليعتبر المشركون والملحدون ، وليعملوا عقولهم لضمان سعادة حاضرهم ومستقبلهم ، وليرتفعوا عن مهاوى العناد والضلال إلى قمم الاقتناع بالحق المنير والرشاد المبين .





آيٍ مِنْ سُورَةِ فُصِّلَت

إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله يدخلون الجنة باطمئنان وسلام ، ويخالطهم الاطمئنان كذلك فى الحياة الدنيا ، وتقول لهم الملائكة : لاتخافوا من الموت ، ولا تحزنوا على ما خلفتم ، وأبشروا بالجنة التى وعدتم بها . ونحن الملائكة أنصاركم وأحباؤكم فى الحياتين : العاجلة والآجلة . ولا يوجد أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وكان من المسلمين . وهناك فرق عظيم بين الحسنة والسيئة ، فمن أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه . إنك إذا امتثلت لهذا التوجيه الربانى الحكيم فسيبدو لك العدوّ كأنه صديق حميم .

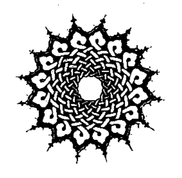
ومن العلامات الدالة على قدرة الله تعالى : هذا الليل والنهار والشمس والقمر ، وكلهن مخلوقات له تعالى ، فلا تسجدوا لهن واسجدوا لله الذى خلقهن وخلقكم . أبلغهم يامحمد بهذه الحقيقة الساطعة ، فإن استكبروا عن إفراد العبادة لله بعد ذلك ، فإن الملائكة الذين هم عند ربك يقومون بالتسبيح لله ليل نهار ولا يفترون .

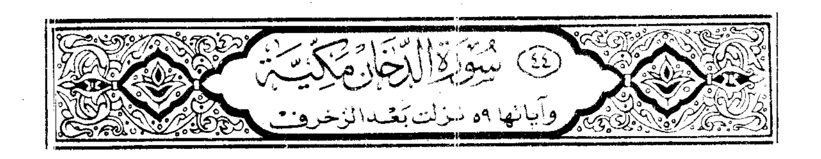
ومن دلائل قدرته على إعادة الموتى ماتراه من همود الأرض وخلوّها من النبات ، فإذا أنزل الله عليها الماء من السحاب اهتزت ونمت وأخرجت من ألوان الزروع والثمار ماشاء الله . والذين يضعون كلام الله فى غير مواضعه لايخفون عليه تعالى ، وهم سيلقون فى النار . وهل حال من يلقى فيها يماثل حال من يأتى يوم القيامة آمناً ؟ ! حاشا وكلا ! ! إنهما لايتماثلان مطلقاً . ولا تنزعج يامحمد مما يقال لك من التكذيب ، فإنه قد قوبل به الرسل من قبلك فصبروا على أذى قومهم ، فاصبر أنت على أذى قومك لك ، والقرآن فى ذروة البلاغة والبيان ، ومع ذلك لم يؤمن به المشركون ، وكفرهم به ناشىء عن العناد ، ولو جعل الله القرآن أعجمياً لقالوا : هلا أنزل مفصلا بلغة العرب ،

ولأنكروا ذلك وقالوا : كيف ينزل كلام أعجمى على مخاطب عربى لايفهمه . والقرآن هو هدى وشفاء للمؤمنين . ومن ليس بمؤمن فلا يفهمه حق فهمه . وليس هذا التكذيب منهم ببدع ، فقد سبق أن آتى الله نبيه موسى عليه السلام الكتاب فاختُلف فيه . فمن قومه مصدق له ومنهم مكذب له ، والعمل الصالح يعود نفعه إلى عامله . والعمل السيىء يعود ضرره على فاعله . والله لايعاقب أحداً إلا بذنبه . ولا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه .

وحدثنا الله بالأمور التى يرجع إليه وحده العلم بها . ومنها القيامة . ومنها مايخرج من الثمرات من أكمامها . ومنها حمل الأنثى ووضعها . والإنسان من طبيعته محبة الخير لنفسه ، أما إذا مسه الشر فهو يؤوس قنوط ، يظن فى قرارة نفسه أنه لايخرج من حبائل هذا الشر بحال . ومع ذلك إذا أذاقه الله منه بعد فقر أصابه فإنه ينسب هذا لنفسه وقدرته وذكائه وحظه واجتهاده وينكر يوم القيامة ، ويزعم أنه إذا دخل العالم الآخر فإنه سيقدم له من ربه الحسنى .. وهم باطل منه إذا لم يعمل مايستوجب رحمة الله ورضوانه .

وقد وعد الله بأنه سيظهر للمشركين المكذبين بالقرآن حججاً دامغة بكون القرآن حقاً منزلا من عند الله على رسوله صلى الله عليه وسلم . فهناك أدلة خارجية (فى الآفاق) مثل الفتوحات وظهور دين الإسلام على شتى أنحاء المعمورة ، وهناك أدلة من أنفسهم ، إذ يدخل نور الإيمان إلى قلوبهم عن قناعة بما شاهدوا من أضواء بيناته المزدهرة .





آيٌ مِنْ سُورَةِ الدُّخَان

سورة الدخان مكية النزول ، وقد افتتحت بحرفى (حم) وأقسم الله بكتابه المبين بأنه أنزله فى ليلة مباركة وهى ليلة القدر التى يفصل فيها كل أمر محكم من الله فى شأن العباد والدنيا أجمع .

وتلتفت الآيات الكريمات إلى المشركين المعاصرين لرسول الله صلوات الله عليه وسلامه ، فتقرعهم وتنذرهم بما سيلاقونه من أهوال العذاب الأليم (يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس) . ويقول بعضهم لبعض فى ذهول ورعب حينذاك : (هذا عذاب أليم) . ومن ثم يدعون الله عز وجل أن يكشف عنهم هذا العذاب الوبيل ، ويقرون وقتئذ بالإيمان بالله وحده بعد ماشاهدوا عذابه العظيم ، وحينئذ لاينفعهم الإيمان ، فقد سبق لهم الكفر والعناد فى الحياة الدنيا بعد أن بعث الله إليهم رسولا منهم بالحجج الواضحة وانصرفوا عنه واستهزءوا به وقالوا إنه (معلم ومجنون) .

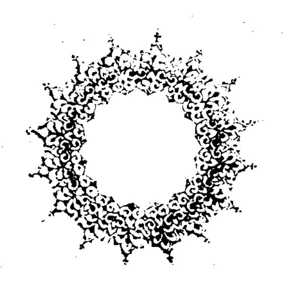
وتعود الآيات الكريمات لتقريع المشركين المعاصرين لرسول الله ، الجاحدين للحق المنزل معه ، فيذكرهم الله فيها بأنه قد فتن قبلهم قوم فرعون حينما أرسل الله إليهم موسى رسولا كريماً ، ودعاهم أمداً مديداً إلى أن يطيعوا الله ورسوله ويؤمنوا بما أنزل عليه ، وطال دعاؤه لهم وطال عنادهم بعد ما وضحت لهم حقيقة رسالته الساطعة ، فلما يئس رسول الله إليهم من إيمانهم وتمادوا فى عتوهم وضلالهم ، دعا ربه أن يطمس على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . فبشره الله باستجابة دعائه فيهم .

وهكذا أغرقهم الله فى البحر بعد ما اجتازه موسى وقومه سالمين ، وكذلك ترك فرعون وقومه القبط المشركون بالله تعالى مدائنهم العامرة الزاخرة بالحدائق الغلب النضرة والأنهار الدافقة والآبار الثرة والخيرات الوفيرة

وورثها لغيرهم . وهكذا أنجى الله موسى وقومه وأهلك أعداءهم القبط الكافرين .

وإذا أنكر هؤلاء المشركون البعث والمعاد وزعموا مصرين أنه ماثم إلا هذه الحياة الدنيا ولا حياة بعدها ، فهذا منهم ضلال كبير وعناد خطير تعود مغبته عليهم . فالله الذى أوجدهم بداية هو قادر على إعادتهم بطريقة أولى . وقد قال قبلهم مثل هذا القول قوم تبع فأهلكهم الله لأنهم مجرمون . وليعلم هؤلاء المشركون العابثون أن الله لم يخلق هذا الخلق العظيم عبثاً ، وسيأتى حتماً يوم القيامة الذين يبعثون فيه بعد موتهم ، ويلاقون من صنوف العذاب بعده ما يذهلهم ذكره الآن ، فكيف إذا وقعوا فيه سيكون يومئذ طعامهم من شجرة الزقوم التى تغلى فى بطونهم كغلى الماء الفائر ، وسيصب العذاب الحميم فوق رءوسهم تنكيلا بهم .

أما المتقون لله ، المؤمنون به وبرسالاته ورسله ، فلهم فى الآخرة حياة النعيم المقيم الأبدى ، جنات وعيون ولباس من حرير منوع فاخر ، وأزواج من حور عين ، وفاكهة مما يشتهون ، وحياة رافهة دائمة النضارة ، وصحة دائمة ، وشباب نضير دائم .. وهذا من فضل ربك يامحمد عليهم ، والله ذو الفضل العظيم ، وهذا فى الحقيقة هو الفوز العظيم .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ
إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ
الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ
بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾
سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ
اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ
يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ
وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي
أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن
رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ الْجَنَّةِ
الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ

يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ
مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ
فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ
إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا
أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ
ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا
ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ
ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ
رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ
مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ
فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن
تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ
فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ
أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى
ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟
مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ
إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟
مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ
فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾

آيٌ مِن سُورَةِ مُحَمَّد

فى الآيات الثلاثين الأول من هذه السورة — سورة محمد عليه الصلاة والسلام — يحدثنا الله تعالى عن نتائج أعمال الكافرين والمؤمنين .

الكافرون يمحق الله أعمالهم فى الآخرة لأنها لم تكن على أساس صحيح . والمؤمنون يقبل أعمالهم ، ويغفر لهم خطاياهم ، ويصلح بالهم فى هذه الدنيا ، وذلك لأن عقيدتهم وأعمالهم مبنيان على الأساس الصحيح .

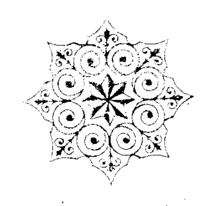
وترشدنا السورة إلى ما نعمل إذا تلاقينا فى معركة ضارية مع المشركين ، وكل ذلك فى مصلحة الإنسانية .. هى تعليمات مركزة .. نقتل مقاتلتهم ، فإذا أسرناهم كان لنا الخيار فى إطلاق سراحهم وفى أخذ الفدية منهم . وتضع السورة بين أيدينا مشهداً رهيباً .. هو مشهد تنكيل الله جل وعز بالأمم الطاغية التى سبقت إلى هذه الدنيا وكفرت بالله ورسله وأنعمه .

ويتلو عرض هذا المشهد المرعب الذى أشيد به للعظة والاعتبار ، مشهد رائع ، هو مشهد مايناله المؤمنون برسالة محمد عليه الصلاة السلام من جزاء كريم عظيم .. هو إدخالهم جنات عدن دار الخلود التى تجرى من تحتها أنهار جميلة مختلفة الشكول والطعوم ، متفقة فى حلاوة المذاق وصفاء اللون .. يضاف إليها تمتع أهلها بوافر الثمرات المشتهاة مع مغفرة من ربهم ورضوان . والنفاق .. ذلك الكفر الخفى العميق .. ندد ت به السورة العظيمة ، فالمنافقون إذا كانوا يستخفون بأحاديث الرسول ، ويقولون بعد خروجهم من عنده .. ماذا قال آنفاً ؟ لقد أعمى الله بصائرهم ، فمصيرهم بلا ريب جهنم خالدين فيها إذا لم يفيئوا إلى الإيمان الصادق المخلص ..

والله وحده هو المستحق للعبادة والدعاء وهو واحد أحد .. (فاعلم أنه لا إله إلا الله) وإذا كان المؤمنون بحق يتمنون نزول سورة بشرعية الجهاد فى سبيل الله ، فإن هناك نفراً يداخلهم الفزع ، وحذر الموت إذا نزلت فعلا هذه السورة .. وقد نزلت .. وهى سورة محمد وسورة القتال فى اسميها الثابتين .. ومالهم يخافون من الموت فى جهاد الكفار لإعلاء كلمة الله والموت ملاقيهم على كل حال ؟ .

وإذا تظاهر المنافقون بالإسلام فإن بواطنهم تعتنق الكفر به .. والله مستطيع أن يرى نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام أشخاصهم بأعيانها .. ولكنه لم يفعل لإبقاء ستار عليهم فى هذه الدار ، وهم إلى ذلك معروفون بما ينطلق بين الفينة والأخرى من أفواههم من فلتات تكشف عما تختلج به صدورهم .

ويجىء مسك ختام الثلاثين آية موضع الحديث يشيد بأن الله فى شرعيته للجهاد فى سبيله هو مختبر بذلك المؤمنين ،ليعلم المجاهدين منهم فى سبيله بصدق ، والصابرين على الحفاظ على تعاليمه وأوامره ودينه بإخلاص .

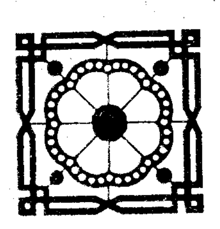


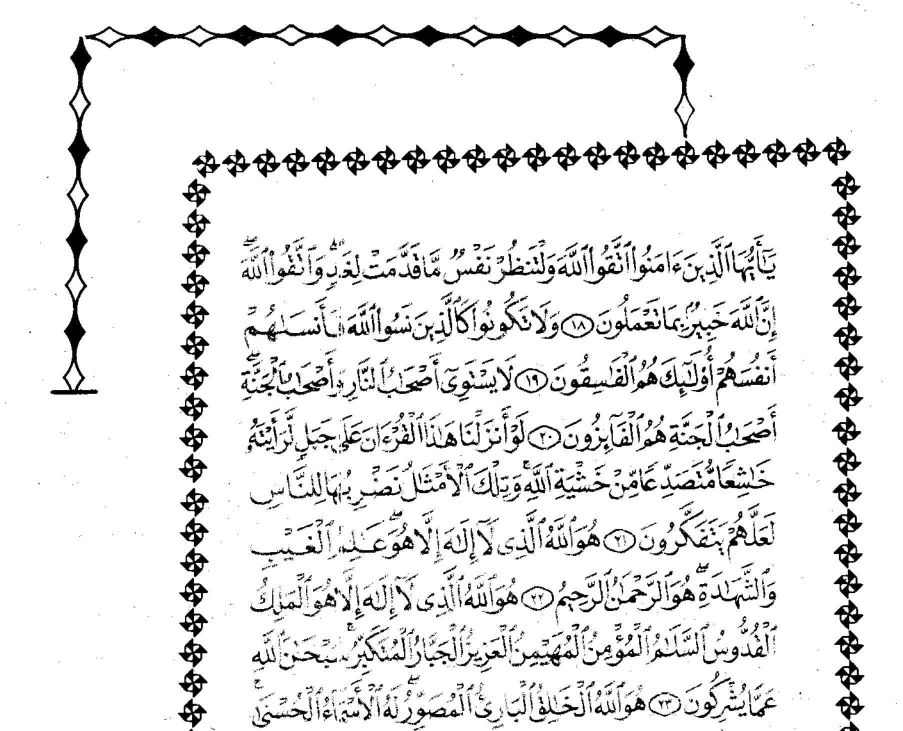
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

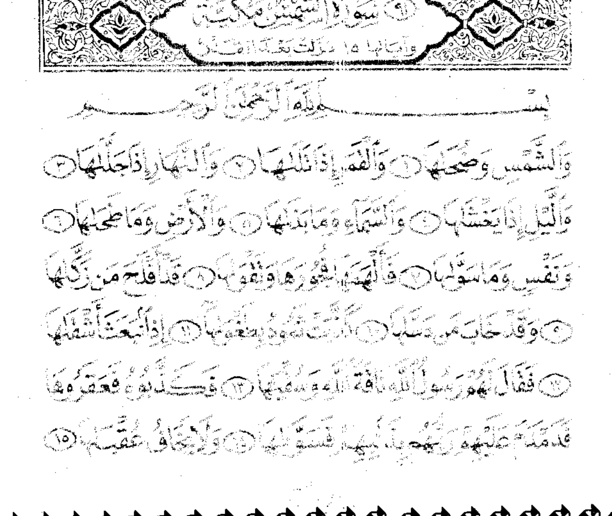
آيٌ مِنْ سُورَةِ الرَّحْمَٰنِ

سورة الرحمن مكية النزول أيضاً .. امتن الله فيها على عباده بأن خلقهم ، ويسر لهم تلاوة القرآن ، وعلمهم النطق . وقد أطلعنا الله على طرف من أسرار تنظيمه للكون الذى أبدعه على غير مثال .. فهذان الشمس والقمر اللذان هما من أبرز موجودات الكون واللذان يضيئان الدنيا متتابعين ليل نهار .. جعل الله لهما نظام سير متقن لايختلف .. وهذا النجم اللامع فى السماء .. كل نجم .. وهذا الشجر النامى على الأرض ، كل شجر ، يسجد جميعها لخالقها الذى رفع السماء عن الأرض بقدرته وأجرى بينهما الهواء ، لتأمين حياة البشر والنبات وسير السحاب فى الأجواء . وأنزل منه المطر فأنبت لنا أشجار الفاكهة والنخل ، وأخرج القمح من سنابله ، ليكون من ذلك وغيره غذاء لحياتنا . (فبأى آلاء ربكما تكذبان) يامعشر الثقلين ؟ فإن نعم الله عليكم ظاهرة وأنتم مغمورون بها أبد الدهر .





يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾



(٩١) سورة الشمس مكية

وآياتها ١٥ نزلت بعد القدر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

آي من سورتي الحشر والشمس

يأمر الله عباده المؤمنين بأن يتقوه ، وبأن تنظر كل نفس منهم ماقدمت لغد من أعمال صالحة ، والله خبير بما يعمله المؤمنون من الخير والأعمال الصالحة . وعلى المؤمنين أن لاينسوا ذكر الله تعالى فينسيهم العمل لمصالح أنفسهم التى تنفعهم فى معادهم .

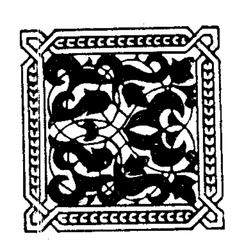
وحقيقة إنه لايتساوى أصحاب النار الذين يكفرون بالله ويعملون السيئات مع أصحاب الجنة الفائزين البررة . ويعظم الله القرآن فيبين لنا علو قدره ، وأنه ينبغى أن تخشع القلوب عند سماعه لما يحتويه من الوعد الحق والوعيد الأكيد . ولو أنزله الله على جبل لتصدع من خشية الله ، لما فيه من العبر الصادقة . والله لا إله هو ، يعلم جميع الكائنات والمشاهدات لنا والغائبات عنا فلا تخفى عليه خافية . وهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما . وهو الطاهر المقدس . وهو السلام من جميع العيوب والنقائص لكماله فى ذاته وصفاته وأفعاله . وهو المؤمن الذى أمن خلقه من أن يظلمهم . وهو المهمين الشاهد عليهم والرقيب . وهو الخالق المقدر لخلقهم والمنفذ له والمصور لهم على ما يشاء من الصور ، وله الأسماء الحسنى . ويسبح له ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الذى لايرام جنابه . الحكيم فى شرعه وقدره .

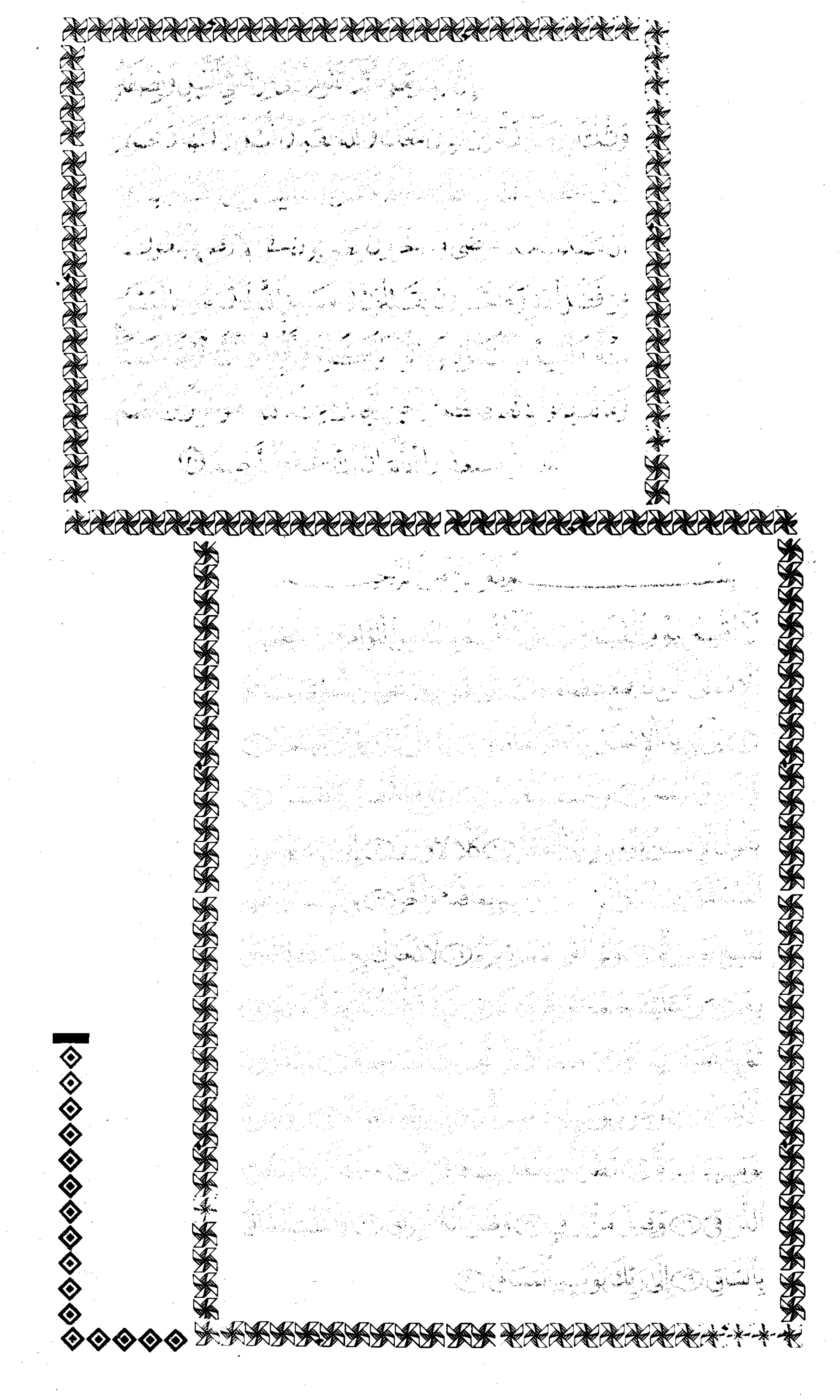
* * *

ويقسم الله بما شاء من خلقه . وقد أقسم فى هذه السورة بالشمس والقمر ، وهما اللذان يضيئان الدنيا فى الليل والنهار ، وأقسم كذلك بالليل والنهار المنبثقين عن الشمس فى طلوعها وغيابها . وأقسم بالسماء ومن بناها . والسماء هى : مقر الشمس والقمر ، وأقسم بالأرض ومن دحاها . والأرض هى مقر البشر والحيوان والنبات ، وأقسم بالنفس ومن سواها . فألهمها فجورها وتقواها .. أقسم بذلك كله ، والمقسم عليه هنا هو قوله تعالى : (قد أفلح

من زكاها) أى أصلحها وطهرها من الشرك والذنوب . (وقد خاب من دساها) خسر من أضلها وأفسدها وحملها على المعاصى .

وبالمناسبة يحدث الله تعالى عباده عن ثمود الذين كذبوا رسولهم صالحاً بسبب طغيانهم ،فقام أشقاهم — وهو عاقر الناقة — وقد نهاهم رسول الله صالح عليه السلام عن ارتكاب هذه الفعلة الشنعاء ، وقال لهم : احذروا ناقة الله فلا تعتدوا عليها فى سقياها ، فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم . ولم يطيعوه وعقروها متعمدين لمخالفة أوامر الله جل وعلا ، فغضب الله عليهم ودمرهم جميعاً بسبب اشتراكهم فى عقر الناقة . والله يفعل مايريد ولا معقب لحكمه ولا يخاف من أحد ، لأنه خالق كل شىء .





سورة المزمل مكية النزول .. وفيها آية أنبأت مقدماً عن مستقبل المسلمين بأن سيأتى زمن يجاهدون فيه الكفار ، وذلك قبل أن ينتقل المسلمون إلى المدينة مهاجرين إليها . وقبل أن ينزل الإذن من الله للمسلمين بالجهاد فى سبيله .. وهذه الآية نزلت تخفيفاً من الله تعالى عن رسوله وعن المسلمين عبء قيام الليل كله . ومن أسباب ذلك ما سيستقبلونه من الجهاد المشار إليه . وهذه الآية هى : (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه، وطائفة من الذين معك، والله يقدر الليل والنهار، علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ماتيسر من القرآن . علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله . وآخرون يقاتلون فى سبيل الله . فاقرءوا ماتيسر منه وأقيموا الصلاة) الآية .

وفى السورة حث للنبى على مداومة القيام بالصلاة ليلا ، لأن الليل أجمع للأفكار وأبعد عن الانشغال بمصالح الدنيا من النهار .

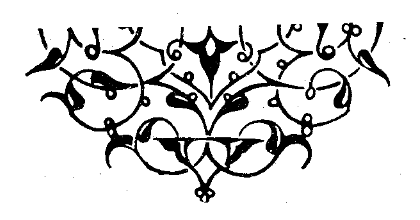
وفى السورة إنذار موجه من الخالق إلى أولئك (المكذبين أولى النعمة) بما سيلاقونه من عذاب الجحيم (يوم ترجف الأرض والجبال)، ويوم تكون الجبال كثباناً مهيلة بعد أن كانت حجارة صلبة متماسكة ..

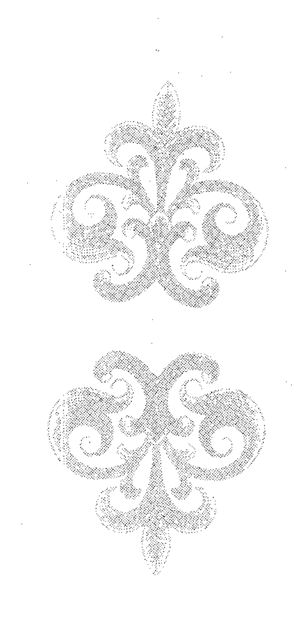
وفى السورة حض على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصدقات وفعل الخيرات . وفيها حث على الإكثار من استغفار الله الغفور الرحيم .

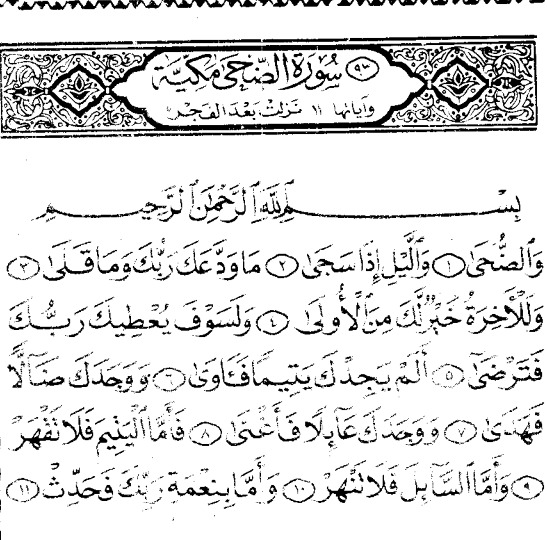
* * *

وسورة القيامة مكية النزول أيضاً . وفيها وعيد صارخ لأولئك الذين يكفرون بوحدانية الله وبالبعث . إن الله الذى خلق الإنسان على غير مثال أو منوال سابق قادر على جمع عظامه وإعادته كما كان .

وفى السورة تعليم للنبي عليه السلام كيف يتلقى القرآن من الملك المنزل به إليه من رب العزة . لقد أمر الله نبيه أن لايحرك لسانه مستعجلا تلقى القرآن . فإن الله يكفل له حفظه فى صدره ، كما يكفل أن يقرأه النبي بعد إلقائه الملك عليه كما أنزل . كما يضمن له بعد تلاوته وحفظه إياه ، إيضاح معانيه له وتبيينها على ما أراد الله وشرع .

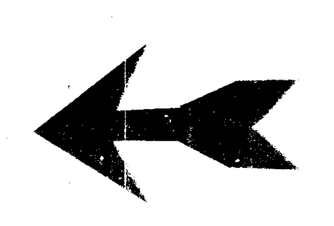


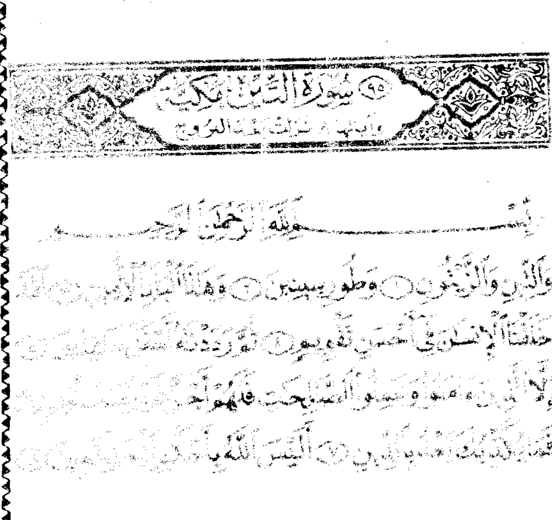



سورة الضحى مكية (٩٣)
وآياتها ١١ نزلت بعد الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

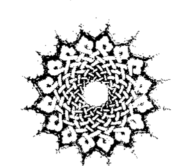
وَالضُّحَىٰ ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ③
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ④ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰ ⑤ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ⑥ وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهَدَىٰ ⑦ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ⑧ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
⑨ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ⑩ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ⑪

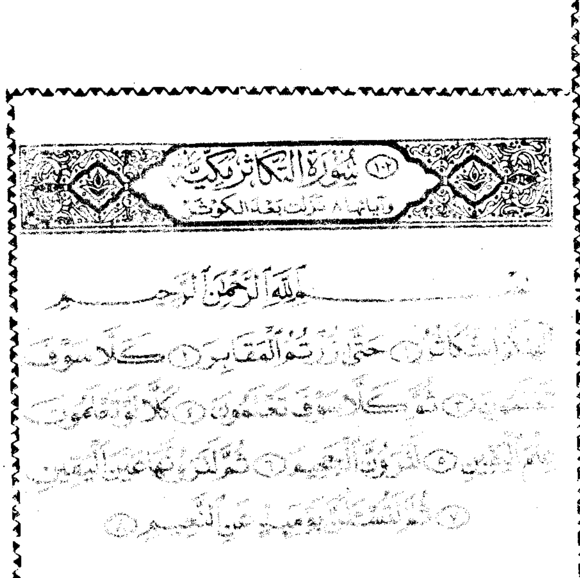



سورة التين مكية (٩٥)
وآياتها ٨ نزلت بعد البروج

بسم الله الرحمن الرحيم

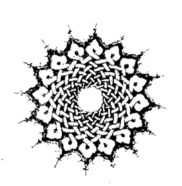
وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ③ لَقَدْ
خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ⑤
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ⑥ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ⑦ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ⑧

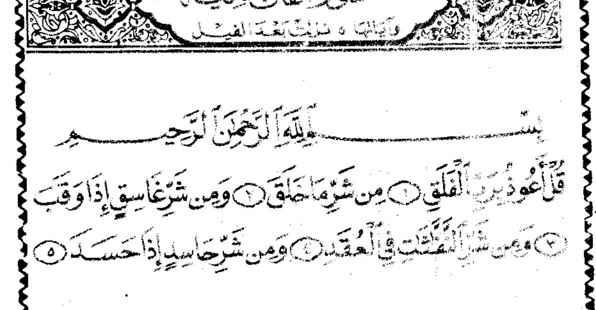



سورة التكاثر مكية (١٠٢)
وآياتها ٨ نزلت بعد الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ
عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ
⑦ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧

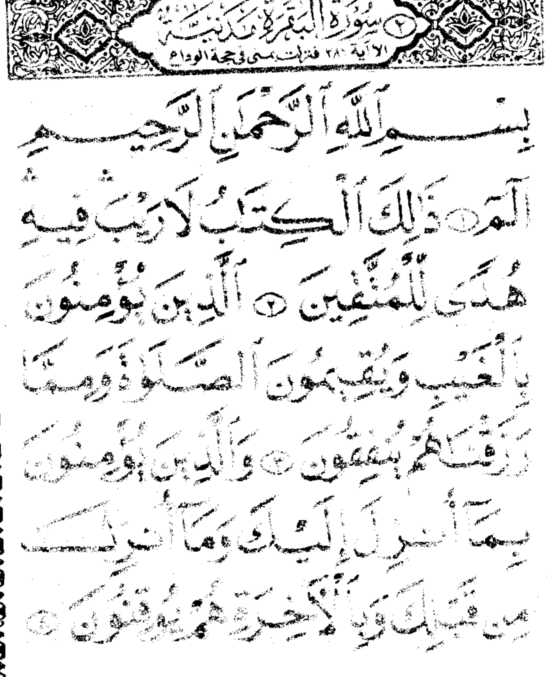




(١١٣) سورة الفلق مكية
وآياتها ٥ نزلت بعد الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

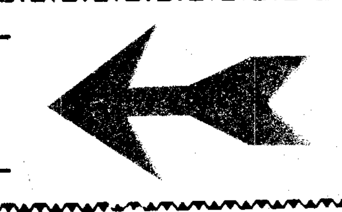
قل أعوذ برب الفلق ⟨١⟩ من شر ما خلق ⟨٢⟩ ومن شر غاسق إذا وقب ⟨٣⟩ ومن شر النفاثات في العقد ⟨٤⟩ ومن شر حاسد إذا حسد ⟨٥⟩

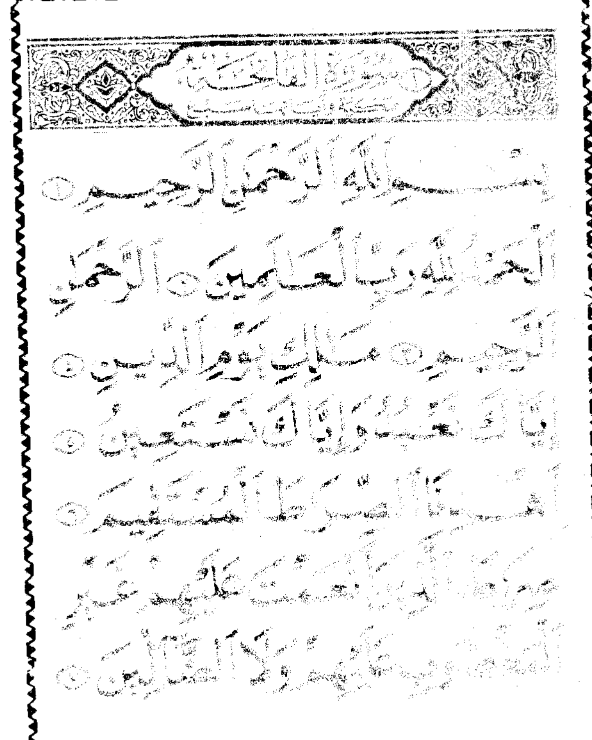


(٢) سورة البقرة مدنية
إلا الآية ٢٨١ فنزلت بمنى في حجة الوداع

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ⟨١⟩ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ⟨٢⟩ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ⟨٣⟩ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ⟨٤⟩





سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم ⟨١⟩ الحمد لله رب العالمين ⟨٢⟩ الرحمن الرحيم ⟨٣⟩ مالك يوم الدين ⟨٤⟩ إياك نعبد وإياك نستعين ⟨٥⟩ اهدنا الصراط المستقيم ⟨٦⟩ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ⟨٧⟩

قِصَارُ السُّوَر

سورة الضحى مكية ، سبب نزولها أن جبريل عليه السلام أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال المشركون : ودع محمداً ربه ، فأنزل الله تعالى السورة . وقد أقسم فيها بالضحى مريداً كل النهار ، وبالليل إذا أقبل بجحافل ظلامه : ماودعك الله يامحمد وما أبغضك وإن الدار الآخرة خير لك من الأولى . وفى الدار الآخرة سوف يعطيك ربك ماأعد لك من الكرامة حتى ترضى . ثم عدد الله نعمه على نبيه المصطفى: وجده يتيما فآواه، وضالا فهداه — ومعنى الضلال هنا عدم العلم بالنبوة وأحكام الشريعة قبل رسالته — ووجده فقيراً ذا عيال فأغناه الله عن سواه . وقال له : كما كنت يتيما فآواك الله فلا تقهر اليتيم ولا تذله ، ولا تنهر السائل ولا تكسر خاطره ، وحدث بنعمة ربك عليك الناس ، فالتحدث بنعمة الله شكر .

* * *

وسورة التين كذلك مكية النزول .. ولله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته ، إظهاراً لمننه وعظمته لخلقه . وهنا يقسم بالتين المطعوم وبالزيتون المطعوم وبطور سينين : الجبل الذى كلم الله عليه موسى . وبالبلد الأمين : مكة المكرمة . والمقسم عليه هنا هو قوله تعالى : (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم) إلخ . أى أحسن صورة وشكل منتصب القامة ، حسن الأعضاء ثم رده الله إلى النار بعد نضارته وحسنه إن لم يؤمن بالله ورسله ، أما المؤمنون العاملون للصالحات فلهم أجر غير مقطوع ، فيا أيها الإنسان ما الذى يجعلك تكذب بيوم الجزاء ؟ ! إن من قدر على بدء شىء قدر على إعادته بطريق الأولوية . والله أحكم الحاكمين ، وسوف يحكم بينك وبين المكذبين لرسالتك يامحمد !

* * *

وسورة التكاثر مكية أيضاً . وفيها يقول تعالى للناس : شغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن حب الآخرة ، وتماديتم فى ذلك حتى آدرككم الموت ، فيا أيها الناس ستعلمون مؤكداً عاقبة تكاثركم هذا ، وتفاخركم بالدنيا. ولو علمتم ذلك الآن علم الحق ما ألهاكم التكاثر عن طلب الآخرة ولترون الجحيم يقيناً ومشاهدة ، ويومئذ تسألون عن شكركم حيال نعمه عليكم من الصحة والرزق والأمن وغير ذلك ، وماذا قابلتم به هذه النعم من الشكر والعبادة لله تعالى .

* * *

وسورة الفلق مدنية ، أمر الله فيها رسوله بأن يتعوذ بالله رب الصبح من شر خلقه أياً كانوا ، ومن شر الليل إذا أقبل ، ومن شر السواحر إذا نفثن بأفواههن فى العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد وهم اليهود .

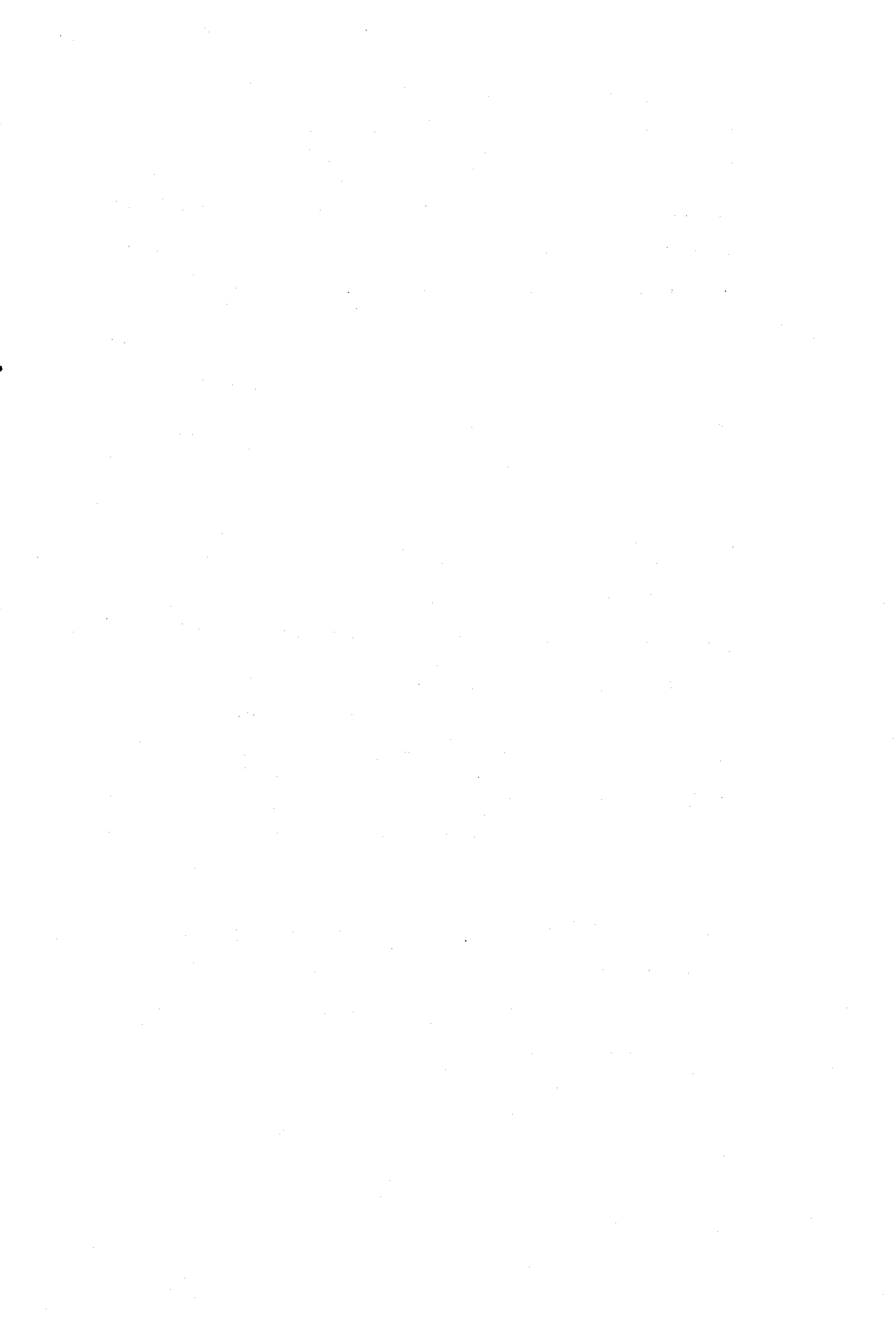
* * *

أما سورة الفاتحة فهى مكية النزول ، وسميت بالفاتحة لافتتاح القرآن بها . وهى السبع المثانى ، كما تسمى أم الكتاب ،لأنها بها تُبدأ كتابة المصاحف. إنها تعلم العباد صيغة وصفة حمد الله ، فعلينا أن نحمد الله رب العالمين . ومعنى رب العالمين : رب الإنس والجن . (الرحمن الرحيم) رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، الشاملة رحمته لخلائقه . (مالك يوم الدين) أى الجزاء فلا يملك معه أحد يومئذ شيئاً . ومن كانت هذه صفاته العظيمة فهو وحده المستحق للعبادة والاستعانة وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم ، صراط المؤمنين الذين ليس عليهم غضب منه تعالى ، وليسوا من الضالين .

* * *

وسورة البقرة مدنية . وقد افتتحت بـ (ألم) والله أعلم بمراده بها . وأكد الله للعالم فى مبدإ السورة أن هذا الكتاب منزل منه ، ولا ريب فى أنه من عنده تعالى ، وهو هدى للمتقين .

★ ★ ★



قرارات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي

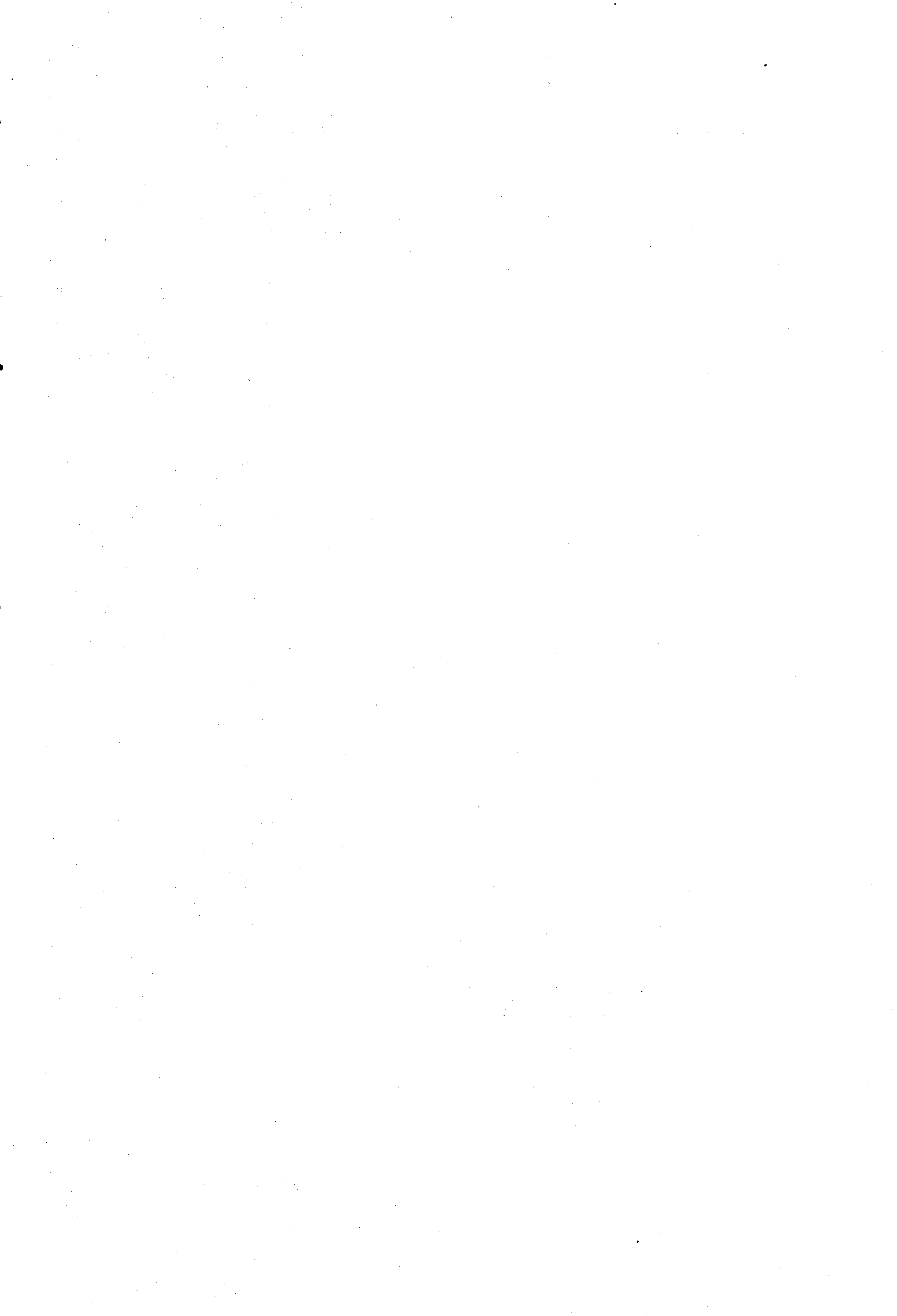
في الفترة من

٧ - ١٤٠١/٤/١٧هـ

الموافق

١١ - ١٩٨١/٢/٢١م

عقدت هذه الدورة بمقر الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي



الحمـــد لله رب العالمين ، والصـلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فقـــد عقـــد مجلس المجمـــع الفقهى الإسلامى دورته الرابعة فى مقر الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامى فى الفترة مابين يوم الأربعاء ١٤٠١/٤/٧ هـ وحتى نهاية يوم السبت ١٤٠١/٤/١٧ هـ الموافق ١٩٨١/٢/١١ م وحتى ١٩٨١/٢/٢١ م .

وكانت جلسة الافتتاح تحت رعاية جلالة الملك خالد المفدى خادم الحرمين الشريفين. وقد أناب عنه صاحب السمو الملكى الأمير سعود بن عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة بالنيابة .

وقد حضرها بعض أصحاب المعالى والفضيلة علماء الشريعة الإسلامية فى العالم الإسلامى وبعض مديرى الجامعات الشرعية والعلمية ، كما حضرها أعيان من السلك الدبلوماسى ومنظمة المؤتمر الإسلامى وأعيان ووجهاء من مكة المكرمة.

وقد ناقشت هذه الدورة المواضيع المدرجة على جدول أعمالها وأصدرت فى ذلك القرارات التالية :

١ ــ قرار حول (العمل بالرؤية فى إثبات الأهلة بالحساب الفلكى) :

فإن مجلس المجمع الفقهى الإسلامى قد اطلع فى دورته الرابعة المنعقدة بمقر الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة فى الفترة مابين السابع ، والسابع عشر من شهر ربيع الآخر ١٤٠١هـ على صورة خطاب جمعية الدعوة الإسلامية فى سنغافورة المؤرخ فى ١٦ شوال ١٣٩٩هـ الموافق ٧ أغسطس ١٩٧٩م الموجه لسعادة القائم بأعمال سفارة المملكة العربية السعودية هناك والذى يتضمن أنه حصل خلاف بين هذه الجمعية وبين المجلس الإسلامى فى سنغافورة فى بداية شهر رمضان ونهايته سنة ١٣٩٩هـ الموافق ١٩٧٩م حيث رأت الجمعية ابتداء رمضان وانتهاءه على أساس الرؤية الشرعية وفقاً لعموم الأدلة الشرعية بينما رأى المجلس الإسلامى فى سنغافورة ابتداء ونهاية رمضان المذكور بالحساب الفلكى معللا ذلك بقوله : (بالنسبة لدول منطقة آسيا حيث كانت سماؤها محجبة بالغيام وعلى وجه الخصوص سنغافورة فالأماكن لرؤية الهلال أكثرها محجبة عن الرؤية وهذا يعتبر من المعذورات التى لابد منها لذا يجب التقدير عن طريق الحساب) .

وبعد أن قام أعضاء مجلس المجمع الفقهى الإسلامى بدراسة وافية لهذا الموضوع على ضوء النصوص الشرعية قرر مجلس المجمع الفقهى الإسلامى تأييده لجمعية الدعوة الإسلامية فيما ذهبت إليه لوضوح الأدلة الشرعية فى ذلك .

كما يقرر أنه بالنسبة لهذا الوضع الذى يوجد فى أماكن مثل سنغافورة وبعض مناطق آسيا وغيرها ، حيث تكون سماؤها محجوبة بما يمنع الرؤية فإن المسلمين فى تلك المناطق وما شابهها أن يأخذوا بمن يثقون به من البلاد الإسلامية التى

تعتمد على الرؤية البصرية للهلال دون الحساب بأى شكل من الأشكال عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » وقوله صلى الله عليه وسلم : « لاتصوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة ولا تفطروا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة » وما جاء فى معناهما من الأحاديث .

٦ – قرار حول (رسالة الشيخ عبد الله ابن زيد آل محمود الموجهة إلى العلماء والحكام والقضاة فى شأن رؤية الهلال) :

اطلع مجلس مجمع الفقه الإسلامى المعقودة فى مكة المكرمة فى دورته الرابعة مابين ٧ – ١٧ من شهر ربيع الآخر سنة ١٤٠١هـ على الرسالة الموجهة إلى العلماء والحكام والقضاة فى شأن رؤية الهلال والتى كتبها رئيس المحاكم بدولة قطر الشيخ عبد الله بن زيد بن محمود . وبعد الاطلاع عليها تبين أنها قد اشتملت على أغلاط عظيمة وأخطاء واضحة :

(أولا) قوله : أن عيد الفطر من هذه السنة – يعنى سنة ١٤٠٠هـ – قد وقع فى غير موقعه الصحيح بناء على الشهادة الكاذبة برؤية الهلال ليلة الاثنين حيث لم يره أحد من الناس الرؤية الصحيحة لا فى ليلة الاثنين ولا فى ليلة الثلاثاء .. إلخ.

فهذا الكلام الذى قاله مؤلف الرسالة تخرصاً منه جانب فيه الصواب وخالف فيه الحق ، وكيف يحكم على جميع الناس أنهم لم يروه وهو لم يحط علماً بذلك والقاعدة الشرعية أن من علم حجة على من لم يعلم ومن أثبت شيئاً حجة على من نفاه . وكيف وقد ثبتت رؤيته ليلة الاثنين بشهادة الثقات المعدلين والمثبتة شهادتهم لدى القضاة المعتمدين فى بلدان مختلفة فى المملكة وغيرها وبذلك يعلم أن دخول شهر شوال عام ١٤٠٠هـ ثبت ثبوتاً شرعياً ليلة الاثنين مبنياً على أساس تعاليم الشرع المطهر المبلغ عن سيد البشر . فقد روى أبو داود فى سننه بإسناد صحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : تراءى الناس الهلال فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم أنى رأيته فصام وأمر الناس بالصيام . قال الحافظ فى التلخيص وأخرجه الدارمى والدارقطنى وابن حبان والحاكم والبيهقى وصححه ابن حزم وروى أهل السنن عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أعرابياً قال : يا رسول الله إنى رأيت الهلال . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أتشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ؟ قال : نعم قال : فأذن فى الناس يابلال أن يصوموا غدا وأخرجه ابن خزيمة وابن حبان والدارقطنى والحاكم والبيهقى وروى الإمام أحمد والنسائى عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال : جالست أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألتهم وأنهم حدثونى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته وأنسكوا لها فإن غم عليكم فأتموا ثلاثين فإن شهد شاهدان فصوموا وأفطروا » وعن الحارث بن حاطب الحجبى أمير

مكة قال : عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننسك للرؤية فإن لم نر وشهد شاهدا عدل نسكنا بشهادتهما . رواه داود والدارقطنى وقال إسناده متصل صحيح . وعن أبى عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار قال : غم علينا هلال شوال فأصبحنا صياماً فجاء ركب من آخر النهار فشهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم رأوه بالأمس . فأمر الناس أن يفطروا من يومهم وأن يخرجوا لعيدهم من الغد . رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه . قال الحافظ فى التلخيص صححه ابن المنذر وابن السكن وابن حزم . وعن ربعى بن حراش عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : اختلف الناس فى آخر يوم من رمضان فقدم أعرابيان فشهدا عند النبى صلى الله عليه وسلم بالله أنهما أهلا الهلال أمس عشية ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يفطروا . رواه أحمد وأبو داود وزاد أبو داود فى رواية : وأن يغدوا إلى مصلاهم. وهذه الأحاديث تدل على وجوب الأخذ بشهادة الشهود الثقات والاعتماد عليها وأن يكفى الشاهدان العدلان فى الصوم والإفطار ويكفى العدل الواحد فى إثبات دخول رمضان، كما دل على ذلك حديث ابن عمر وحديث ابن عباس رضى الله عنهما كما تدل على أنه لايلزم من ذلك أن يراه الناس كلهم أو يراه الجم الغفير منهم، كما تدل أيضاً على أنه ليس من شرط صحة شهادة الشاهدين العدلين أو شهادة العدل الواحد فى الدخول أن يراه الناس فى الليلة الثانية لأن منازله تختلف وهذا إبصار الناس ليست على حد سواء ولأنه قد يوجد فى الأفق مايمنع الرؤية فى الليلة الثانية ولو كانت رؤيته فى الليلة الثانية شرطاً فى صحة الشهادة لنبيه النبى صلى الله عليه وسلم، لأنه المبلغ عن الله والموضح لأحكامه عليه الصلاة والسلام . وحكى الترمذى إجماع العلماء على قبول شهادة العدلين فى إثبات الرؤية وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى الفتاوى ج ٢٥ ص ١٨٦ بعد ما ذكر اختلاف أبصار الناس فى الرؤية وأسباب ذلك مانصه : لأنه لو رآه اثنان علق الشارع الحكم بهما بالإجماع وأن كان الجمهور لم يروه . اهـ .

ولعل مراده بحكاية الإجماع وقت الغيم، لأن خلاف أبى حنيفة رحمه الله فى علوم إثبات دخول الشهر فى وقت الصحو بأقل من الاستفاضة أمر معلوم لا يخفى على مثله رحمه الله، وهذا كله إذا لم يحكم بذلك فإنه يرتفع الخلاف ويلزم العمل بالشهادة المذكورة إجماعاً كما ذكر فى ذلك العلامة أبو زكريا يحيى النووى فى شرح المهذب ج/٦ ص٣١٣ بعد ما ذكر أسباب اختلاف أبصار الناس فى الرؤية وهذا نص كلامه: « ولهذا لو شهد برؤيته اثنان أو واحد وحكم به حاكم لم ينقض بالإجماع ووجب الصوم بالإجماع ولو كان مستحيلا لم ينفذ حكمه ووجب نقضه . ثم قال ابن محمود بعد كلام سبق ما نصه: يا معشر العلماء الكرام ، ويا معشر قضاة

شرع الإسلام، لقد وقعنا فى صومنا وفطرنا فى الخطإ المنكر كل عام . اهـ .

ولا يخفى ما فى هذا الكلام من الخطإ العظيم والجرأة على القول بخلاف الحق، فأين له تكرر الخطأ فى كل عام فى الصوم والإفطار والقضاة يحكمون فى ذلك بما دلت عليه الأحاديث الصحيحة وأجمع عليه أهل العلم كما سبق بيانه ؟ ... ثم قال ابن محمود بعد كلام سبق فتى : طلع — يعنى الهلال — قبل طلوع الشمس من جهة المشرق فإنه يغيب قبلها فلا يراه أحد ، أو طلع مع الشمس فإنه يغيب معها ولا يراه أحد لشدة ضوء الشمس اهـ . وهذا خطأ بين، فقد ثبت بشهادة العدول أنه قد يرى قبل الشمس فى صبيحة يوم التاسع والعشرين من المشرق ثم يرى بعد غروبها من المغرب ذلك اليوم، لأن سير القمر غير سير الشمس فكل واحد يسبح فى فلكه الخاص به كما يشاء الله عز وجل . وأما الآية التى استدل بها على ما ذكره من عدم إمكان رؤيته بعد الغروب إذا كان قد رؤى صباح ذلك اليوم قبل طلوع الشمس وهى قوله تعالى فى سورة يس : « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » . فلا حجة له فى ذلك لأن علماء التفسير أوضحوا معنى الإدراك المذكور، وأنه لا سلطان للشمس فى وقت سلطان القمر ولا سلطان للقمر فى وقت سلطان الشمس . قال الحافظ ابن كثير رحمه الله فى تفسير هذه الآية مانصه : قال مجاهد لكل منهما حد لايعدوه ولا يقصر دونه إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا ، وإذا ذهب سلطان هذا جاء هذا إلى أن قال : وقال الثورى عن إسماعيل ابن خالد عن أبى صالح لايدرك هذا ضوء هذا ولا هذا ضوء هذا . وقال عكرمة فى قوله عز وجل: « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر » يعنى أن لكل منهما سلطاناً فلا ينبغى للشمس أن تطلع بالليل . اهـ . المقصود .

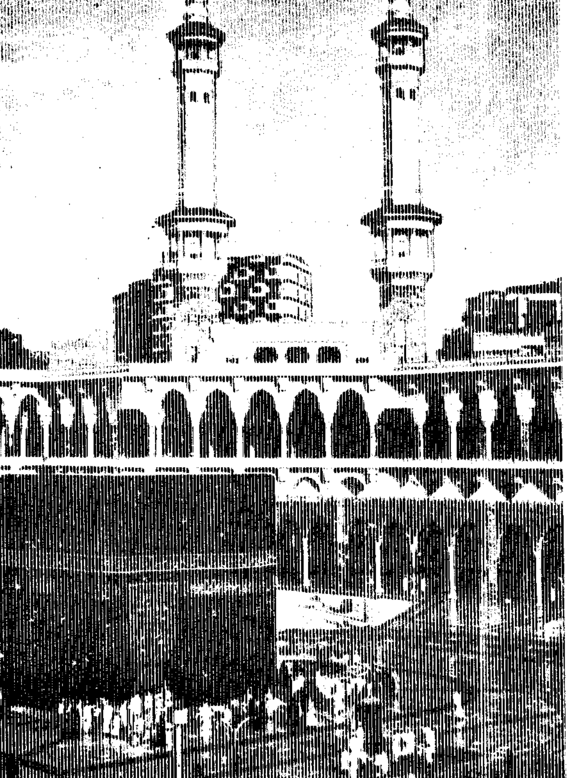
ثم قال ابن محمود بعد ما ذكر كلام فقهاء الأحناف فى اشتراط الاستفاضة فى الرؤية وقت الصحو، وأنه لا يكتفى فى رؤيته بشخص أو شخصين دون بقية الناس لاحتمال التوهم منهما إلى أن قال : وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى رسائله المتعلقة بالهلال فقال : أنه لايعتد برؤية الواحد والاثنين للهلال والناس لم يروه لاحتمال التوهم منهما فى الرؤية ، ولو كانت الرؤية صحيحة لرآه أكثر الناس اهـ . وهذا الكلام الذى نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن عدم الاكتفاء بشهادة الواحد والاثنين بالهلال إذا لم يره غيرهم لا أساس له من الصحة، وقد سبق كلامه رحمه الله الذى نقله عنه العارفون بكلامه وهو الموجود فى الفتاوى ج٢٥ ص١٨٦، ونقل الإجماع على تعلق حكم الشرع بشهادة الاثنين وفيه نقل الإجماع على تعلق حكم الشرع بشهادة الاثنين .

ثم قال ابن محمود ما نصه: فإن قيل فما تصنعون بحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : تراءى الناس هلال رمضان فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم أنى

رأيته فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بصيامه. رواه أبو داود وصححه الحاكم وابن حبان ومثله حديث ابن عباس: أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني رأيت الهلال. قال: أتشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: نعم. قال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: فأذن في الناس يابلال أن يصوموا غداً. رواه الخمسة وصححه ابن خزيمة وابن حبان وصحح النسائي إرساله. فالجواب أنه ليس في الحديثين مايدل على حصر الرؤية على هذين الشخصين، إذ من المحتمل أن يكونا رأيا الهلال ثم رآه غيرهما اه. المقصود.

ولا يخفى بطلان هذا الجواب وتعسفه لعدم الدليل عليه والأصل عدم وجود غيرهما، إذ لو شهد غيرهما لنقل، فلما لم ينقل ذلك علم عدم وقوعه. لهذا احتج العلماء بهذين الحديثين على قبول شهادة الواحد في دخول شهر رمضان ووجوب العمل بها وهو أصح قولي العلماء كما تقدم بيان ذلك وقد تقدم أيضاً أنه متى حكم بها حاكم شرعي وجب العمل بها إجماعاً كما سبق نقل ذلك عن النووي رحمه الله في شرح المهذب، فنعوذ بالله من القول عليهم بغير علم.

ثم قال ابن محمود في ختام رسالته ما نصه: ولقد تقدم مني القول برسالتي لاجتماع أهل الإسلام على عيد واحد كل عام، فدعوت فيها الحكومة حرسها الله إلى تعيين لجنة عدلية استهلالية من العدول الذين لهم حظ من قوة البصر فيراقبون الهلال وقت التحري بطلوعه لخاصة شعبان، وحتى إذا حصل غيم أو قتر حسبوا



له ثلاثين ثم صاموا رمضان ثم يراقبون عند مستهل ذي الحجة لمعرفة ميقات الحج، وهذه اللجنة لا ينبغي أن تقل عن عشرة أشخاص من العدول الثقات ولهم رئيس يرجعون إليه في شملهم. اه. المقصود.

ولا يخفى ما في هذا الكلام من التكلف والتشريع الجديد الذي لم ينزل الله به من سلطان، بل هو اقتراح في غاية الفساد لا يجوز التعويل عليه والالتفات إليه، لأن الله سبحانه قد يسر وسهل وأجاز الحكم بشهادة عدلين اثنين في جميع الشهور وعدل واحد في دخول رمضان، فلا يجوز لأحد أن يحدث في شرع الله مالم يأذن به سبحانه ولم تأت به سنة نبيه صلى الله عليه وسلم. وقد قال الله عز وجل: «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله»

الآية من سورة الشورى . وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد . أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها . وفى رواية مسلم عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد . وهذا ما أردنا التنبيه عليه من الأخطاء الكثيرة التى وقعت فى رسالة الشيخ عبد الله ابن محمود، ونسأل الله أن يهدينا وإياه سواء السبيل ، وأن يعيذنا وإياه وسائر المسلمين من القول على الله وعلى رسوله بغير علم ، ومن الأحداث فى دين الله ما لم يأذن به الله . والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

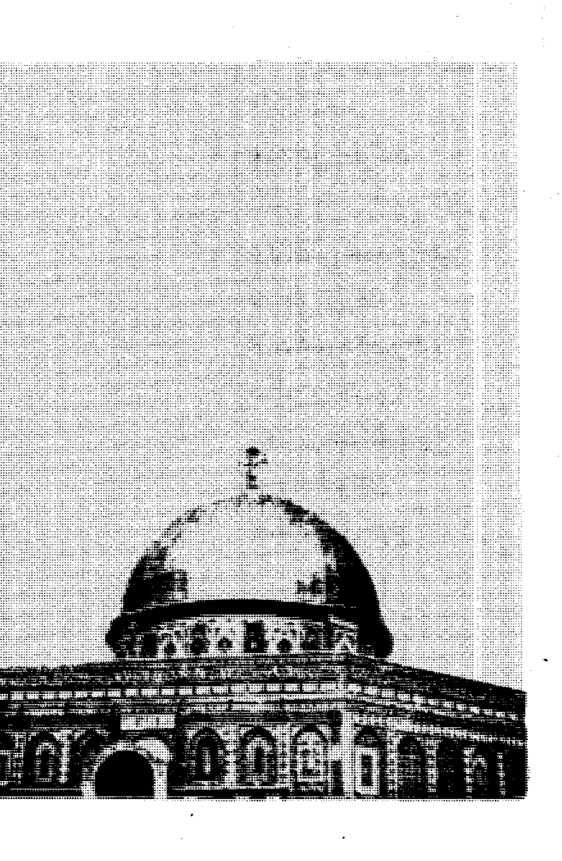
٧ ـ قرار فى (بيان توحيد الأهلة من عدمه) :

درس المجمع الفقهى الإسلامى مسألة اختلاف المطالع فى بناء الرؤية عليها فى دورته الرابعة المنعقدة فى الفترة من ٧ ـ ١٧ من شهر ربيع الآخر ١٤٠١هـ فرأى أن الإسلام انبنى على أنه دين يسر وسماحة تقبله الفطرة السليمة والعقول المستقيمة لموافقته للمصالح . ففى مسألة الأهلة ذهب إلى إثباتها بالرؤية البصرية لا على اعتمادها على الحساب كما شهد به الأدلة الشرعية القاطعة ، كما ذهب إلى اعتبار اختلاف المطالع لما فى ذلك من التخفيف على المكلفين مع كونه هو الذى يقتضيه النظر الصحيح ، فمايدعيه القائلون من وجوب الاتحاد فى يومى الصوم والإفطار مخالف لما جاء شرعاً وعقلا . أما شرعاً فقد أورد أئمة الحديث حديث كريب ، وهو أن أم الفضل بنت الحارث بعثته إلى معاوية بالشام قال : فقدمت الشام فقضيت حاجتها فاستهل على رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة فى آخر الشهر فسألنى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . ثم ذكر الهلال فقال : متى رأيتم الهلال ؟ فقلت : رأيناه ليلة الجمعة . فقال : أنت رأيته ؟ فقلت : نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية . فقال : لكنا رأيناه ليلة السبت ، فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه . فقلت : أو لانكتفى برؤية معاوية وصيامه ؟ فقال : لا ، هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه مسلم فى صحيحه .

وقد ترجم الإمام النووى على هذا الحديث فى شرحه على مسلم بقوله : باب بيان أن لكل بلد رؤيتهم ، وأنهم إذا رأوا الهلال ببلد لايثبت حكمه لما بعد عنهم ولم يخرج عن هذا المهيع من أخرج هذا الحديث من أصحاب الكتب الستة أبى داود والترمذى والنسائى فى تراجمهم له.

وناط الإسلام الصوم والإفطار بالرؤية البصرية دون غيرها لما جاء فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له . رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، فهذا الحديث علق

الحكم بالسبب الذى هو الرؤية ، وقد توجد فى بلد كمكة والمدينة ولا توجد فى بلد آخر ، فقد يكون زمانها نهاراً عند آخرين فكيف يؤمرون بالصيام أو الإفطار أفاده فى بيان الأدلة فى إثبات الأهلة . وقد قرر العلماء من كل المذاهب أن اختلاف المطالع



هو المعتبر عند كثير ، فقد روى ابن عبد البر الإجماع على أن لا تراعى الرؤية فيما تباعد من البلدان كخراسان من الأندلس أو لكل بلد حكم يخصه ، وكثير من كتب أهل المذاهب الأربعة طافحة بذكر اعتبار اختلاف المطالع للأدلة القائمة من الشريعة بذلك وتطالعك الكتب الفقهية بما يشفى الغليل .

وأما عقلا فاختلاف المطالع لا اختلاف لأحد من العلماء فيه لأنه من الأمور المشاهدة التى يحكم بها العقل ، فقد توافق الشرع والعقل على ذلك فهما متفقان على بناء كثير من الأحكام على ذلك التى منها أوقات الصلاة ، ومراجعة الواقع تطالعنا بأن اختلاف المطالع من الأمور الواقعية . وعلى ضوء ذلك قرر مجلس المجمع الفقهى الإسلامى أنه لا حاجة إلى الدعوة إلى توحيد الأهلة والأعياد فى العالم الإسلامى ، لأن توحيدها لا يكفل وحدتهم كما يتوهمه كثير من المقترحين لتوحيد الأهلة والأعياد . وأن تترك قضية إثبات الهلال إلى دور الإفتاء والقضاء فى الدول الإسلامية ، لأن ذلك أولى وأجدر بالمصلحة الإسلامية العامة ، وأن الذى يكفل توحيد الأمة وجمع كلمتها هو اتفاقهم على العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فى جميع شئونهم .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم . والله ولى التوفيق .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز
نائب الرئيس
محمد على الحركان
رئيس مجلس المجمع الفقهى الإسلامى
عبد الله بن محمد بن حميد
مصطفى الزرقا
محمد محمود الصواف
صالح بن عثيمين
محمد بن عبد الله السبيل
مبروك العوادى
محمد الشاذلى النيفر

عبد القدوس الهاشمى
محمد رشيدى
أبو الحسن على الحسنى الندوى
أبو بكر محمود جومى
حسنين محمد مخلوف
مدير المجمع الفقهى الإسلامى
ومقرر المجلس
محمد سالم عدود
د. محمد رشيد قبانى
محمد عبد الرحيم الخالد
محمود شيت خطاب

